سلسلة تصحيح المفاهيم الخاطئة
(٢)

آيات مظلومة

بين جهل المسلمين، وحقد المستشرقين

للدكتور

عمر بن عبد العزيز قريشى

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر

الجزء الثانى

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلما كان قد صدر الجزء الأول من الآيات المظلومة، وكان ذلك من سورة البقرة حتى سورة النحل، فها نحن هذه المرة نستكمل المسيرة فى النصف الثانى من القرآن من سورة الإسراء وحتى قصار السور وإن كان كلا الجزئين يرتبط بالقسم الأول الذى هو «آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين».

ولعل الله عز وجل يطيل فى الأجل لاستكمال تلك الموسوعة العلمية المرتبطة بتصحيح المفاهيم الخاطئة فى حياة المسلمين

المؤلف

عمر بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات مظلومة فى سورة الإسراء

(متى نهاية بنى إسرائيل؟)

(١) قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1].

والفهم الخاطئ لهذه الآيات يتمثل فى ظن كثير من المفسرين أن ما ذكر فيها من الإفساد مرتين، ومجئ الوعدين كلاهما قد تحقق فى بنى إسرائيل قبل الرسالة الخاتمة،

فقد وقع الإفسادان، وتحقق الوعدان، ولا ننتظر وقوع شىء بعد ذلك،

على نحو ما قيل فى الفسادين من قتل الأنبياء، مرة زكريا، والأخرى يحيى.

وفيمن سلط عليهم، قيل هو جالوت الجزرى أولا ثم ملك الموصل سنجاريب وجنوده، وقيل بل هو بختنصر ملك بابل، أو غير ذلك، وقد ذكرت فى الآيات اسرائيليات كثيرة، جلها من وضع زنادقتهم.

والفهم الصحيح الذى نعتقده فى الآية أنها مستقبلية تحكى أمورا تقع

---

(١) سورة الاسراء: ٤ ـ ٨.

منهم فى المستقبل، وأنهم سيفسدون فى الأرض، وأكبره ما يكون مرتين، وأنهم ـ مع ذلك يعلون علوا كبيرا أى يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس.

والناظر فى الآيات إلى قوله تعالى «**لتفسدن ـ لتعلن ـ فإذا جاء، ليسئوا ـ ليدخلوا ـ ليتبروا**﴾ وهى فى سياق الآيات على أنها للمستقبل وليست للماضى.

وقوله تعالى: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا**﴾ هذا الوصف بالعبودية الخالصة، مع الإضافة لله عز وجل التى هى إضافة تكريم وتشريف، لم تكن لجالوت ولا سنجاريب ولا بختنصر، أو نحوهم ممن سلط على اليهود قديما، وإنما هو وصف لا يليق إلا بأصحاب محمد ﷺ ومن هو على شاكلتهم، وقوله تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**﴾ لم تتحقق فى حياة اليهود، كما هى فى وقتنا الحاضر، ليصل الفساد الثانى إلى ذروته، والعلو مداه، والطغيان منتهاه، ليتحقق بفضل الله ـ الوعد الثانى للمؤمنين، بقهر اليهود، وكسر شوكتهم، وإساءة وجوههم، واسترداد المسجد الأقصى قبل هدمه، وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه هذا والمتأمل قول الله تعالى ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[1] يدرك أنه لا يجوز تخصيص الفساد ولا تحديد مرات العذاب خاصة إذا ما قرأنا قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا**﴾ فقد أفسدوا قبل الإسلام وتمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2].

ثم هم أفسدوا بعد الإسلام، كما قال قتادة: قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمداً ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٧. (٢) سورة آل عمران: ٢١.

يد وهم صاغرون.

وقد عادوا بعدها مرات ومرات فسلط الله عليهم النصارى فى الأندلس يذيقونهم العذاب مع المسلمين الذين تخاذلوا عن دينهم وركنوا إلى الدنيا، فتشابهوا مع اليهود فى الخصال والفعال، وكذلك سلط الله عليهم النصارى فى أوربا، وعلى يد «هتلر» وغيره، وكذا على يد الملحدين الشيوعيين فى روسيا وغيرها.

وبناء على ذلك: نقول لا نمانع من وقوع فساد قبل الإسلام أظهره ما وقع مرتين، اجتهدالمفسرون فى معرفتهما، مستندين فى ذلك على الإسرائيليات.

ولكن الذى نرجحه أن الآيات تحدثنا عن مستقبل قريب مرتبط بمهد الدعوة فى عصرها الأول، ومع نشأة دولة الإسلام الفتية يقع الفساد الأول من بنى إسرائيل أو من اليهود خاصة، فتمثل ذلك فى النفاق الذى ظهر فى المدينة، مع نقض العهود، وعزمهم على قتل الرسول ﷺ عشرات المرات ﴿**وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾[1] ووقوفهم بجوار الأحزاب، وتحريضهم الكفار والمشركين على استئصال شأفة المسلمين، فكانت الخيانة العظمى لبنى قريظة، وقد سبقتهم بنو النضير وبنو قينقاع، وأمثال هذا مما هو معروف، فهذا - والله أعلم- هو الفساد الأول، وتلك بعض مظاهره، فترتب عليه أن الله عز وجل سلط عليهم محمدًا ﷺ وصحبه، بل وملائكة الرحمن العباد المكرمون ، كانوا معهم وفى نصرتهم، فرأينا هؤلاء العباد لله تعالى والذين آتاهم الله قوة وبأسا شديداً، ورعباً يقذفه الله فى قلوب عدوهم على مسيرة شهر، وقد أمهلوا اليهود، ثم جاسوا خلال ديارهم، يهدمون حصونهم، ويخربون بيتوهم بأيديهم وأيدى المسلمين، والذى يقرأ غزوات المسلمين لبنى قينقاع وبنى النضير وبنى

---

(١) سورة التوبة: ٧٤.

قريظة، ثم خيبر بعد ذلك يدرك جليا معنى ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾، أى تملكوا بلادكم وورثوا أرضكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا، وكان وعداً مفعولاً، كما ننصح بقراءة سورة الأحزاب، وكذا الحشر أو بنى النضير، لمزيد من المعرفة.

أضف إلى ذلك ما وقع من فتوحات أيام الخلافة الراشدة، وخاصة بالنسبة للفرس والروم، وفتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رضى الله» عنه للمسجد الأقصى، واستلامه لمفاتيح القدس، واستسلام نصارى الشام وغيرهم للدولة الإسلامية، وهذا بخلاف ماتم عنوة بالبأس الشديد، فتحقق بها، ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ ونحن نرى ذلك واضحاً أيام القرون الشهود لها بالخير.

ثم نحن نفهم أن قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ لا يجوز حصرها فى اليهود فقط مع أن النصارى يشاركونهم فى ذلك، فكلاهما من ولد يعقوب، الذى هو إسرائيل، كما أنهم يوصفون بأهل الكتاب، ثم هم أصحاب كتاب واحد وإن جعلوه قسمين «العهد القديم، والجديد» فلذلك ما يذكر عن اليهود يمكن أن يذكر عن النصارى كذلك.

ثم ماذا؟ تخلى المسلمون عن التمسك بدينهم وقيمهم، وعن قرآن ربهم وسنة نبيهم، ووالوا عددهم، وتبعوا سنن من كان قبلهم، وتشبهوا باليهود أنفسهم فى الحرص على الدنيا ونسيان الآخرة.

فى الوقت الذى أفاق بنو إسرائيل لأنفسهم، وأعادوا حساباتهم، وتناسوا خلافاتهم، والتقى اليهود مع النصارى، وأعان النصارى اليهود، على الرغم مما كان بينهم، وتنازل النصارى عن دم المسيح، وبرأوا اليهود من ذلك، وأحكم اليهود قبضتهم على الأموال والأبطال، وتحكموا فى الإعلام، واختاروا الرؤساء، وكانوا وراء الوزراء، فصارت الدنيا كلها

تعمل لصالح اليهود مع الظلم الواضح، والجور البين، والفحش المبين، والسيطرة المتسلطة، والعلو الطاغى، والفساد المستشرى، . . إلخ

وهذا هو الذى قاله الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾ فنرى الكرة الآن لبنى إسرائيل سواء أكان فى صورة إسرائيل، أو كان النصارى فى صورة أمريكا وأوربا. وهم الآن الذين يحكمون العالم، ويقولون بلسان الحال والمقال « من أشد منا قوة؟» ولا يجدون من يقف فى طريقهم، ولا من يستطيع تأديبهم، ولا، ولا، ومن الذى يوقفهم، أو يمنعهم من ظلمهم وعلوهم؟ أهى الأمة الإسلامية أم الشيوعية؟!!

ونرى صورة من صور الإمداد بالأموال لبنى اسرائيل، بالنسبة لدول الكفر التى بنت اقتصادها من أموال المسلمين وثروات المسلمين يوم أن احتلوا بلادهم، وسرقوا خيراتهم، ثم هم الآن وقد وضعوا أرصدتهم فى بنوك أمريكا وأوربا.

وبالنسبة لليهود كما هو معروف مكشوف، فكل دول العالم المتقدمة لابد وأن تساعد اسرائيل، وتقدم لها اتاوات وجزية مفروضة، وأسلحة مهداة، وأجهزة ممنوعة حتى صارت على رأس الاقتصاد العالمى، تتحكم فى أسعار العملات، «والبورصات» العالمية . . إلخ

وأما الإمداد بالبنين فصورته الحالية هى تجمع اليهود من كل بقاع العالم بعد أن كتب عليهم الشتات والتيه فى الأرض فهم الآن يتجمعون فى فلسطين، وفى القدس خاصة، حول المسجد الأقصى، وكأنى بالآية الكريمة تشير إلى هذا المعنى ﴿ **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: ١٠٤.

وعلى العموم فقد صار بنو إسرائيل أكثر الناس أموالا وبنين، وأما جعلهم أكثر الناس نفيرا، أى عدة وسلاح وقوة، فهذا واضح وضوح الشمس، بل نقول: حدث ولا حرج، إذ هم فى الوقت الذى يمتلكون فيه كل أنواع السلاح بما فيها النووية والذرية والجرثومية والكيماوية لا تملك الأمة الإسلامية أو الدول العربية من ذلك شيئا إلا ما يتفضل به السادة على العبيد!! ومن الواضح أن كل هذا قد ظهر وتحقق، وصار أمرا واقعا، لا نملك له دفعا ولا منعا.

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أى فعليها.

ثم ماذا؟ ننتظر وعد الآخرة ـ المرتبط بدنو الساعة واقتراب الآخرة ـ والذى هو الآخر بالنسبة الأول، والذى سبق الكلام عنه فى مهد الدعوة، وبداية العصر والإسلامى، وهذا الأخير مع نهاية الزمان.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ أى مع تحقيق هذا الوعد الأخير المرتبط بشروط، والتى على رأسها ما جاء فى الآية ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1]. وجاء فى الحديث: «**يا مسلم يا عبد الله...**»[2] فعند تحقق هذا أو ذاك يتحقق وعد الآخرة على نحو ما ذكره فى الآية، إذ تسوء وجوه بنى إسرائيل بإهانتهم وقهرهم فى الوقت الذى ظنوا أنهم سيحكمون العالم، وأنهم قاب قوسين أو أدنى من إقامة مملكة داود، وبناء هيكل سليمان، فيخيب الله آمالهم، ويبطل مساعيهم، ويجعل جهودهم وأموالهم حسرة عليهم ثم يهزمون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) أخرجه البخارى فى المناقب (٣٥٩٣) ومسلم فى الفتن (٢٩٢٢)، وابن ماجه فى الفتن (٤٠٧٧)، وأحمد (٢/ ١٤٩).

يُحْشَرُونَ ﴾[١].

كما يتحقق مع وعد الآخرة «وليدخلوا المسجد» أى الأقصى، بيت المقدس، الذى يأبى اليهود إلا أن يقيموا هيكل سليمان على أنقاضه، وقد حرقوه ودنسوه، وقتلوا المصلين به، وأرادوا جعل القدس عاصمتهم إلى الأبد، تعينهم فى ذلك أمريكا ودول العالم من ورائها، ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أى فى مهد الدعوة وفى ظل الخلافة الراشدة، يوم أن فتحه عمر بن الخطاب، رضى الله عنه وتسلم مفاتيحه من إخوانهم نصارى الشام، وكذلك ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ أى يدمروا ويخربوا ما بناه اليهود وشيدوه وما ظهروا عليه، تتبيرا تاماً، ودماراً شاملا، فليبن اليهود المستوطنات، وليعلوا البناء، ولتبن أمريكا وغيرها ناطحات السحاب، فإن وعد الآخرة قد بدت ملامحه، وظهرت اشعاعاته، وسطع نوره، ليبدد الظلمات، وليقضى على الظلم، ولينهى الفساد، وليحق الحق، ويبطل الباطل، وليقطع دابر الكافرين، وينهى كيد المجرمين.

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وكذلك: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٣].

وفى نهاية المطاف: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ⑧ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيراً ⑨ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً﴾

وصدق الله العظيم، ومن أصدق من الله حديثا؟ لا أحد[٤].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦. (٢) سورة الروم: ٤، ٥. (٣) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٤) راجع هذا المبحث بتوسع فى كتاب «تعصب اليهود».

هل أدوات الموسيقى تسبح؟

(٢) قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[١].

أساء المتصوفة فهم هذه الآية، واستشهدوا بها فى غير موضعها، فقد كنت أناقش شيخ طريقة منهم عن ارتباط الذكر الصوفى بأدوات الموسيقى التى هى مزمارة الشيطان، ومعازف اللهو والطرب، فأجابنى بما سمعته بأذنى قائلا: أليست أدوات الموسيقى شيئاً؟ قلت: بلى، قال فما دامت هى من الأشياء فهى اذن تسبح، لأنه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ وعجبت لإجابته حتى توقفت عن الرد عليه، ورحت أسرع بذهنى كيف ألقى الشيطان هذه الشبهة على لسانه، يبرر بها بدعته، ويدافع بها عن ضلالته، بدلا من الاعتراف بتقصيره، فى الوقت الذى لم نر أهل الطرب والفساد يقولون هذا بالنسبة لأغانيهم ولهوهم!! فسبحان الله، ننزه كلماته عن الهوى، وننزه كتابه عن الضلال وكذا عن التناقض والاختلاف، وهو الذى نهى عن لهو الحديث، وكذا عن المكاء والتصدية، مشيراً بأنه صوت إبليس ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[٢]. قالوا هو الغناء. إلى آخر ما ورد فى هذا الباب.

والذى نعلمه عن الآية هنا فى معناها الصحيح أن الله سبحانه وتعالى تقدسه السموات السبع والأرض، ومن فيهن أى من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية فى ربوبيته وإلهيته

ففى كل شىء له آية تدل أنه الواحد

---

(١) الإسراء: ٤٤

(٢) الإسراء: (٦٤).

وكما قال تعالى: ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا**﴾ .

وقوله: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ أى وما من شىء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿**وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ أى لا تفهمون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم. وهذا عام فى الحيوانات والجمادات والنباتات، وكما سبح الطعام للنبى ﷺ وحن الجذع له، وسلم الحجر والشجر عليه ﷺ، وكذا قيل: صرير الباب تسبيح، وخرير الماء تسبيح، ونقيق الضفدع تسبيح، وقيل إن الاسطوانة تسبح، والمائدة من الخشب تسبح، وذكر إنما يسبح الرطب من الخشب أو الجريد ونحوه، فإذا يبس انقطع تسبيحه، وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستنزة من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(١) .

قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء: إنما قال مالم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما، والله أعلم(٢) .

والشاهد أن الذى يسبح هو ما كان من مخلوقات الله، ومن صنع الله، وكذا يقال: يسبح العنب ما دام عنباً: فإذا تحول إلى خمر فهل يسبح ياعباد الله؟

---

(١) أخرجه البخارى فى الوضوء (٢١٨)، ومسلم فى الطهارة (١١١)، وأبو داود فى الطهارة (٢٠)، والترمذى فى الطهارة (٧٠)، والنسائى فى الجنائز (٢٠٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤١ -٤٣ بتصرف.

ويسبح الخشب، ما دام خشباً أو حتى مائدة، فإذا تحول إلى عود أو ناى أو نحوه، فهل يسبح؟ وكيف يسبح؟ بنغماته وأصواته وموسيقاه؟ فإن كان كذلك، فلمَّ حرمه الله؟ ونهى عنه رسول الله؟

يا قوم: لم هذا البهتان؟ أليس منكم رجل رشيد؟

●●●●●

هل يجوز التوسل بالأشخاص؟

(٣) قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ۝٥٦ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(١).

والفهم الخاطئ يتمثل فى أن قوما زعموا أن الآية دعوة لابتغاء الوسيلة وطلبها، ثم زعموا أن الوسيلة تكون بالنبى أو بالولى، بالأحياء أو الأموات!!

وما ذلك إلا لذكر كلمة الوسيلة فى الآية، وما علم القوم أن الآية حجة عليهم، وليست لهم، إذ أن الآية تنفى الوسيلة غير المشروعة بالملائكة أو بالجن أو غيرهم.

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية: يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أى بالكلية، ولا تحويلا أى بأن يحولوه إلى غيركم، والمعنى أن الذى يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له فى الخلق والأمر قال العوفى عن ابن عباس فى قوله ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قال: كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا، وهم الذين يدعون يعنى الملائكة والمسيح وعزيرا: أى يدعون ربهم ويبتغون إليه الوسيلة وروى البخارى عن ابن مسعود فى تفسير الآية قال: ناس من الجن كانوا يعبدون

---

(١) سورة الإسراء: ٥٦، ٥٧.

فأسلموا.

وفى رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أى القربة كما قال قتادة، ولهذا قال: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ هل الله أم الجن؟ هل الله أم الملائكة؟ هل الله أم الأولياء؟ هل الحى أم الموتى؟ هل القادر أم العاجزون؟ هل القريب أم البعيدون؟

ثم هم ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إذ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يكف عن المناهى، وبالرجاء يكثر من الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أى ينبغى أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذا بالله منه»[1].

●●●●●

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٦، ٤٧ بتصرف.

هل الإسراء كان مناما ؟

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١).

والشاهد فى الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾

والفهم الخاطئ لها هو ما زعمه قوم أن الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ كان مناما أو مجرد رؤيا منامية فقط، دون اليقظة، مستدلين على زعمهم بهذه الآية، ومستأنسين بالمعنى اللغوى أن الرؤيا (بالألف) تكون منامية، والرؤية (بالهاء أو بالتاء المربوطة) تكون يقظة، وقد عبر القرآن عنها بالألف (الرؤيا) فدل على أنها كانت مناما!!

فنبادر بالرد على ذلك، فنقول: أما الزعم بأن الإسراء والمعراج كان مناما فقط فكيف يكون مناما، ويكون فتنة للناس؟ وهل المنامات من جنس الفتن؟ ثم لو قال قائل: لقد طفت الدنيا بأسرها فى منامى هذه الليلة؟ ترى هل يكذبه أحد؟ والناس يعلمون أن قانون النوم يختلف عن قانون اليقظة، إذ الروح تسرح فى المنام كيفما شاءت، وهل كان المشركون مغفلين لهذه الدرجة بحيث يحكى لهم النبى ﷺ مناما فيقولون له: كيف؟ ويقولون - لما قال لهم: أسرى بى الليلة إلى المسجد الأقصى - نضرب إليها أكباد الإبل شهرا - أى ذهابا وآخر إيابا - وتزعم أنك أتيتها فى ليلة؟ (٢).

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم فى الإيمان (١٧٣) وأحمد (١/ ٣٠٩) والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٦٣) وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (٢٨٢٠) إسناده صحيح.

أسمعت؟ قالوا: أتيتها، ولم يقولوا: رأيتها، أو طفت بها مناما!!

لو كانت مناما، أكان هذا يستدعى أيضا أن يرتد بسبب ذلك ضعاف الإيمان؟!

ثم على افتراض أنها كانت مناما، فماذا عن قول عائشة رضى الله عنها: «ما رأى النبى ﷺ رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح»[١]؟! فمعناه أنه يمكن أن يراها مناما ثم تتحقق فى اليقظة وهذا ابن عباس رضى الله عنهما يقول: هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به».

ولذلك كانت فتنة للناس أى اختبارا وامتحانا، فثبت قوم وصدقوا، وارتد قوم وكذبوا.

وأما عن المعنى اللغوى المشار إليه، فإن العرب يعرفون الرؤيا (بالألف) فى اليقظة، لكنها تستعمل فى غرائب الأشياء التى تشابه الرؤيا المنامية، وقد قال قائلهم

فكبر للرؤيا وهش فؤاده   وطمأن نفسا كان قبل يلومها

●●●●●

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى (٣) ومسلم فى الإيمان (١٦٠).

ما هو الإمام؟

(٥) قال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[١].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن الناس يوم القيامة يتبعون أئمتهم، أى مشايخ طرقهم وأئمة مذاهبهم، فيشفعون لهم، ويبررون أخطاءهم، وإذا فعل الإنسان شيئا مخالفا، قال الإمام من هؤلاء: هو صحيح عندى، فيضمه إليه ويشفع له.. إلى آخر ذلك الهراء والدجل الذى يضحك به أئمة الباطل والدجل، والأئمة الذين يدعون إلى النار، على الأتباع والضعفاء والسفهاء!!

وأما الآية الكريمة فإنها تحدثنا عن مرحلة من مراحل الحساب متمثلة فى أخذ الصحف، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أى بكتابهم، وقد فسرها الذى بعدها ﴿فمنفَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ...﴾.

وقال ابن عباس: «.. بإمامهم» أى بكتاب أعمالهم، وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك، وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ....﴾[٣] الآية.

هذا ويحتمل فى تفسير الإمام بالنبى أو الرسول، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ..﴾[٤] وقيل الإمام هو الكتاب الذى أنزل على النبى عليه الصلاة والسلام.

ويحتمل أن المراد بإمامهم أى كل قوم بمن يأتمون به، فأهل الإيمان أمة

---

(١) سورة الإسراء الآية: (٧٢).
(٢) سورة يس الآية: (١٢).
(٣) سورة الكهف الآية: (٤٩).
(٤) سورة يونس الآية: (٤٧).

إئتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[١].

وفى الصحيحين «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. . . .»[٢] الحديث وقال تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]. وهذا لا ينافى أن يجاء بالنبى إذا حكم الله بين أمته فإنه لابد أن يكون شاهدا على أمته بأعمالها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٥] ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال، ولهذا قال ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أى من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته كقوله تعالى ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه....﴾[٦]

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو الخيط المستطيل فى شق النواة»[٧].

●●●●●

(١) سورة القصص الآية: (٤١).
(٢) أخرجه البخارى فى التوحيد (٧٤٣٨) ومسلم فى الإيمان (١٨٢) وأحمد (٢/٣٦٨).
(٣) سورة الجاثية الآية: (٢٨, ٢٩).
(٤) سورة الزمر الآية: (٦٩).
(٥) سورة النساء الآية: (٤١)
(٦) سورة الحاقة الآية: (١٩)
(٧) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٥٢ بتصرف.

آيات مظلومة فى سورة الكهف

هل يجوز بناء المساجد على القبور؟

١ - قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[١].

والشاهد فيها هو: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ والفهم الخاطئ: زعم المتصوفة أن الله عز وجل أباح بناء المساجد على قبور الصالحين بهذه الآية، ولذلك حاولوا أن يضحكوا على الناس ويقنعوهم بأن تعظيم القبور ورفعها واتخاذ المساجد عليها من صلب ديننا، وقد أمر به ربنا فقال: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

ونحن نقول هنا: يجب أن نقف وقفة تصحيح لهذا الفهم الخاطئ المزعوم.

فالآية حجة على القوم وليست حجة لهم، والذى يستشهد بالآية على أنها فيها حجة واضحة على جواز اتخاذ القبور مساجد، أو بناء المساجد على القبور، ويعلن ذلك للناس إنما هو أبله لا يفهم كتاب الله، ولا يعى ما يقول، فالآية ليست كذلك على الإطلاق.

أولا: معلوم أن الإسلام الحنيف جاء فهدم الوثنيات، ونبذ كل ما يدعو إليها، سواء كان هذا المُعظم حجرًا أو شجرًا أو قبرا، نجما أو شمسا أو قمرا، أو غير ذلك.

---

(١) سورة الكهف الآية: (٢١).

فإن الإسلام نهى عن تعظيم الأشياء حتى لا يؤدى هذا التعظيم إلى التقديس والعبادة فيقع الناس فى الشرك.

لقد نهى الإسلام عن الوثنية بكل مظاهرها، فى صورة صنم قد نصب، وفى صورة قبر قد رفع، أو نحو ذلك، ولذلك رأينا النبى ﷺ يرسل عليا بن أبى طالب رضى الله عنه فى مهمة دعوية يغير فيها منكرا وزورا فيقول له: أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[1].

وبهذا الحديث نرى النبى ﷺ يسوى بين وثنيتين، اختلفتا فى المظهر، فهذا صنم قد نصب، وذاك قبر قد رفع عن الأرض بغير ما لم يأذن به الله جل وعلا، أو رسوله ﷺ.

ومعلوم كذلك أن الإسلام نهى عن عبادة القبور وتعظيمها، ورفعها وتشييدها، والكتابة عليها، وزخرفتها، وكل ما يؤدى إلى تعظيمها أو الغلو فى التبرك بها ونحو ذلك.

ثانيا: الآية تحكى قصة قوم من الأمم السابقة، تحكى قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، واعتزلوا الجاهلية بنتنها وعفنها، وذهبوا يعبدون ربهم فى كهف من الكهوف، فأراد الله عز وجل أن يجعل منهم آية على مدى التاريخ، سجلها القرآن الكريم فأماتهم الله عز وجل فى كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعا، ثم بعثهم من مرقدهم، وقد قاموا جوعى يبحثون عن طعام، فأرسلوا أحدهم بورقهم - أى فضتهم أو دراهمهم الفضية - أو من أجل أن يأتى لهم بأزكى طعام، لما بلغ بهم الجوع من كل مبلغ، ولكن الزمان كان قد تغير، والحكم قد تغير، والملك كذلك، والعملة تغيرت أيضا، لقد

(١) رواه مسلم فى الجنائز (٩٦٩) وأبو داود فى الجنائز (٣٢١٨) والترمذى فى الجنائز (١٠٤٩) والنسائى فى الجنائز (٢٠٣٠).

تغيرت أشياء كثيرة على مدى ثلاثمائة سنين وتسع. ولذلك - بعد ظهورهم - حاول الناس معرفتهم، وتبعوهم لكشف أمرهم، ولكن الله عز وجل قضى نحبهم، وماتوا فى كهفهم موتتهم الحقيقة التى لم يبعثوا منها إلا يوم القيامة بخلاف موتتهم الأولى التى كانت آية لهم، فكانوا آية عجبا.

فإذا بالملك الذى أراد أن يخلد ذكراهم، ويلفت أنظار الناس لتلك الآية، فى بلده، فيكثر الحديث عنها وعن ملكها، ويخلد اسمه بتخليد هذا الحدث العظيم أو نحو ذلك، فأصدر ذلك الملك مع حاشيته قرارًا أو فرمانا بأن يخلد ذكرى هؤلاء الفتية بأن يتخذ على قبرهم مسجدا أو متحفا أو مكانا يتعبد فيه، ليكون معلما سياحيا، وأثرا تاريخيا على مدى العصور والدهور، سائر الأزمنة والأمكنة.

وهنا نلمح قول الله تعالى **﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾** أى قال الملك وقالت الحاشية أو البطانة، قال أصحاب السلطة والكلمة والغلبة والنفوذ **﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾**.

ثالثا: أقول: من الذي أعطى الذين غلبوا على الأمر حق التشريع، والتشريع لا يكون إلا لله وحده **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾**[1]. فإذا قال الذين غلبوا على أمرهم، فليس لهم الحق فى التشريع، فقولهم ليس تشريعا، ولا حكما من لدن حكيم عليم، وإنما هو قول الذين غلبوا على الأمر، وهو نادرا ما يوافق الحق أو يصل إلى الحقيقة، أو يكون صوابا، أو يخلو من الهوى والغرض.

فمن الذى يزعم أن هذا دين أو أنه تشريع.

أرأيت لو أن الذين غلبوا على أمرنا أصدروا قرارا ببناء متحف ملئ

---

(١) سورة يوسف: (٤٠).

بالتماثيل والأصنام، ونحن مستضعفون ومغلوب على أمرنا، أيكون هذا تشريعا؟!!

لو أن ملكا أصدر فرمانا ببناء ملاهى ليلية، وأباح الخمور ورخص بهذا وصرح به، فمن يزعم أن هذا تشريع؟ ومن يزعم أن هذا يكون دينا؟

لا أحد، إلا سفيه أبله.

فإذا قال الذين غلبوا على الأمر فقولهم لا قيمة له ولا اعتبار مادام يخالف حكم الملك الجبار.

رابعا: قوله تعالى: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾. لو افترضنا أن المسجد هنا بالمعنى الذى نهى عنه الإسلام، فنحن نعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يأت ناسخ ينسخه.

ونتساءل: هل وجد هذا الناسخ أم لا؟ والإجابة واضحة فى أنه جاءت الآيات والأحاديث تنهى عن ذلك، وتشنع على من فعل ذلك.

قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾(٣) ونحو ذلك من الآيات.

وفى السنة: يقول ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا إنى أنهاكم عن ذلك**»(٤).

وقال ﷺ: «**لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد**»(٥).

---

(١) سورة الجن الآية: (١٨). (٢) سورة الأعراف الآية: (٢٩).

(٣) سورة الزمر الآية: (٢، ٣).

(٤) رواه البخارى فى الجنائز (١٣٩٠) ومسلم فى الجنائز (٥٣١).

(٥) أخرجه النسائى فى الجنائز (٢٠٤٢) وأبو داود فى الجنائز (٣٢٣٦) والترمذى فى الصلاة (٣٢٠) وابن ماجة فى الجنائز (١٥٧٥) وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح ابن ماجة برقم (١٢٨١).

ويقول ﷺ: **«إن من شرار الخلق عند الله يوم القيامة، من اتخذوا القبور مساجد، والذين تدركهم الساعة وهم أحياء»**(١).

وعن أم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهما ـ وقد رأتا كنيسة بالحبشة فيها تصاوير ـ فقال النبى ﷺ: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»**(٢).

والنبى ﷺ كان فى مرض موته يرفع الخمرة عن وجهه، ويقول: اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد(٣).

ويقول ﷺ أيضا: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، تقول عائشة: يحذر مما صنعوا»**(٤).

فكانت هذه من وصاياه الأخيرة ﷺ، وكونه يذكر هذا فى مرض موته إنما لأهمية الزمر وخطورته، وإن كان ذكر شيئا بعدها فقد ذكر قوله: الصلاة الصلاة، وما ملكت ايمانكم»(٥) ثم فاضت روحه ﷺ إلى بارئها.

---

(١) سورة يوسف الآية: (٤٠).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥) وابن خزيمة فى صحيحه (٧٨٩) وابن حبان (٣٤٠) والبزار (١/ ٢٧٢) والطبرانى فى الكبير (١٠٤١٣) وقال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٣٨٤٤) اسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة (٤٢٨) ومسلم فى المساجد (٥٢٧) والنسائى فى المساجد (٧٠٣) وأحمد (٦/ ٥٢)

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦) ومالك فى الموطأ فى قصر الصلاة فى السفر (٨٥) وعبد الرزاق فى مصنفة (١٥٨٧). والحميدى فى مسنده (١٠٢٥) وابن سعد فى الطبقات (٢/ ١٨٦) وقال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٧٣٥٢) اسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم فى المساجد (٥٣١) وأحمد (٦/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه أبو داود فى الأدب (٥١٥٦) وابن ماجة فى الوصايا (٢٦٩٨) وأحمد (٦/ ٢٩٠) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٨٦٨).

فأهم ما فى الدين وأخطره، صرح به ﷺ وهو فى مرض موته، وهو يعانى من سكرات الموت، مشيرا إلى إخلاص العقيدة، بتحريم تعظيم القبور، وإلى صحة العبادة بالمحافظة على الصلاة، وإلى حسن المعاملة والأخلاق، بإكرام العبيد، والإماء وما على شاكلتهم ممن هم عوان عندنا.

إذا فالأمر جد خطير، ولئن كان هذا يجوز فى دين الملك أو عرفه فاتخذ على قبور هؤلاء الفتية مسجدا أو معبداً أو متحفا أو نحو هذا، فإن هذا لا يجوز فى ديننا بعد أن جاءت الأدلة متضافرة والأحاديث صحيحة متواترة، تنهى عن هذا، تنهى عن هذا الصنيع، وتبين أن اتخاذ القبور مساجد، وأن رفع القبور عن الأرض ـ بما يزيد عن مقدار شبر، ليعلم أنه قبر، فلا يجلس عليه، ولا يمشى فوقه، ولا يصلى إليه ـ وكذلك زخرفتها وبناء القباب عليها أو نحو ذلك، إنما كل هذا من الوثنية وليس من دين الله فى شىء.

خامسا: أقول مَنْ مِنْ أئمة الدين وعلماء الاسلام أفتى بجواز هذا الأمر؟

وهذا الإمام أحمد بن حنبل، ومن بعده شيخ الإسلام ابن تيمية، قالا: لا يجتمع فى الإسلام مسجد وقبر أبدا، فأيما مسجد بنى على قبر فبناؤه باطل وجب أن يهدم، وأيما قبر أدخل مسجدا، فإدخاله باطل وجب نبشه. وفى الوقت الذى جعلت لنا الأرض مسجدا وطهورا حرمت الصلاة عند المقبرة، كما حرمت عند المزبلة والمجزرة، وقارعة الطريق، ومبارك الإبل، والحمام، وفوق الكعبة.

فهذا حكم الإسلام الواضح فى مسألة بناء المساجد على القبور، أو اتخاذ القبور مساجد.

سادسا: ما حكم الصلاة فى المساجد التى بها قبور؟

وإذا كنت قد بينت الجانب العقدى فى مسألة المساجد والقبور، فهذا الجانب الفقهى لمن يسأل عن حكم الصلاة فى المساجد التى بها قبور.

فنقول: الذي يقصدون هذه المساجد تفضيلا لها، وتعظيما للمقبور بها، فهذا العمل يرتبط بالعقيدة، فيكون شركا، كما أن صلاتهم باطلة.

أما من صلى صلاة فى مسجد به قبر، لا يقصد تفضيل المسجد على غيره ولا تعظيم المقبور الذى قبر به، فحكم صلاته مختلف فيها بين البطلان والكراهية، ومجمع على عدم الأفضلية بالصلاة فيه، بل الأفضلية فى غيره يقينا مما لم يختلف على فضل الصلاة فيه.

سابعا: لعل قائلا يقول: فماذا عن مسجد الرسول ﷺ؟

نقول: هذا المسجد لم يبن على قبر، ولم يدفن فيه النبى ﷺ عندما مات، فالعلة من هذا الجانب أو ذاك منفية. ولقد بُنى مسجد رسول الله ﷺ وأُسس على التقوى، وأفضلية الصلاة فيه ثابتة، فصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[1].

وقد بين ﷺ أنه يدفن الأنبياء حيث ماتوا[2]، وقد مات ﷺ فى حجرة عائشة رضى الله عنها المجاورة لمسجد رسول الله ﷺ، فدفن فى نفس الحجرة، أو المكان الذى مات فيه ﷺ.

ثم تمت توسعة مسجد رسول الله ﷺ أكثر من مرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى عهد عثمان رضى الله عنه، وفى كل مرة تتم التوسعة بعيدا عن الجانب الذى فيه حجرات زوجات النبى ﷺ، كما قال عمر ـ رضى الله عنه ـ مشيرا إلى حجرة عائشة ـ رضى الله عنها ـ

(١) أخرجه البخارى فى الصلاة (١١٩٠) ومسلم فى الحج (١٣٩٤) من حديث أبى هريرة.
(٢) أخرجه الترمذى فى الجنائز (١٠١٨) وابن ماجه فى الجنائز (١٦٢٨) من حديث أبى بكر رضى الله عنه، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى برقم (٨١٢).

وقد طلب منه التوسعة من ناحيتها، فقال: أما هذه فما لنا عليها من سبيل.

وبقيت حجرات النبى ﷺ - بعد ذلك - مسكنا لمن بقى من آل البيت، وحتى لا يدخل قبر النبى ﷺ المسجد، ومرت الأيام إلى أن جاء عهد «الوليد عبد الملك بن مروان»، والذى قيل إنه كان يكره آل بيت النبى ﷺ، وذهب المدينة زائرا، وخطب الجمعة فى مسجد الرسول ﷺ، وهناك رأى الأنظار قد توجهت إلى حجرات زوجات النبى ﷺ، ينتظر الناس من يخرج من آل البيت فأدرك «الوليد» حب الناس لآل البيت، وعزوفهم عنه، وعن سماع خطبته، وعدم رضاهم عن ظلمه وجبروته، فأسرها فى نفسه وقرر هدم تلك الحجرات، ولابد من تشتيت من بقى من آل بيت النبى ﷺ، وبحجة التوسعة للمسجد يصدر الوليد فرمانا بتوسعة المسجد من الناحية الشرقية للمسجد حيث الحجرات، وتتم التوسعة على الرغم من رفض الناس لذلك، ولم يكن قد بقى فى ذلك الوقت أحد من الصحابة، وكان الناس قد تملكهم الخوف من ظلم الوليد وبطشه واكتفوا بأن باتوا يبكون، ومرت عليهم تلك الليلة التى رأوا فيها هذا التغيير والحدث فى دين الله أسوأ ليلة، ولكن ما حيلة القوم؟!!

وقد رأوا أن فى الخروج على الوليد فتنة لا يعلم مداها إلا الله، فتركوا الخروج عليه وصدر الأمر وتم التنفيذ، ووسع المسجد من ناحية الحجرات، فأدخلت حجرة عائشة رضى الله عنها فى مسجد الرسول ﷺ برمتها، وظلت ببنيانها، والقبر على حاله بداخلها، منذ أن مات رسول الله ﷺ، وإلى يومنا هذا، وجدران الحجرة هى هى، والقبور الثلاثة - قبر النبى ﷺ وبجواره قبر صاحبيه «الصديق والفاروق» كما هى أيضا،

هذا وقد بنى الساتر الحديدى أمام الجدران، وقيض الله عز وجل لقبر نبيه ﷺ جنودا يحرسونه بالليل والنهار، فلا يتعبد الناس له ولا يسجدون

ولا يتبركون ولا يتمسحون به، كما يفعل الجهال عند قبور الأولياء والصالحين، وبهذا تحققت دعوة النبى ﷺ «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد»[١].

وظل مسجد الرسول ﷺ على هذا النحو، فله خصوصية ليست لغيره من المساجد، لما بيناه من عدم بناء المسجد على القبر، وكذا عدم دفن النبى ﷺ عند وفاته، وإنما حدث هذا التغيير بعد ذلك، ولم يكن من الممكن نقل قبر النبى ﷺ لحرمته، ولأن الحجرة معزولة، هذا فضلا عن أفضلية الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ. فالأمر كما علمت مما لا يقاس عليه غيره أبدا، والله أعلم.

●●●●●

(١) سبق تخريجه.

(هل هناك علم لدنى؟)

٢ - (الموضع الثانى من سورة الكهف) يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ

رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

فهذه الآيات الكريمات التى يحكى الله تعالى فيها قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح «الخضر عليه السلام»

ـ كما صح فى السنة التصريح باسمه ـ قد فهمت فهما خاطئا، على النحو التالى:

١ ـ زعم قوم أن الآيات تدل على أفضلية الأولياء على الأنبياء، لأن الخضر كان وليا، وموسى كان نبيا، وفى الآيات ما يدل على أفضلية الخضر على موسى عليه السلام.

٢ ـ زعموا أن هناك ما يسمى «بالعلم اللدنى» مرتبط بالحقيقة يختلف عن العلم الشرعى، وهذا العلم اللدنى للأولياء كالوحى للأنبياء!!، مستدلين بقوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

وكثيرا ما خالف المتصوفة شرع الله باسم الحقيقة، وقالوا: هذا علم لدنى!

لم يكتب فى قرطاس، ولم يسجل فى كراس! على طريقة «حدثنى قلبى عن ربى»!

فالحقيقة تختلف عن الشريعة عندهم، وكما قال قائلهم:

وإن كنت فى علم الشريعة عاصيا   فأنا فى علـــم الحقيقة طائع!!

مستدلين بأن الخضر خرق السفينة، وقتل النفس، وبنى الجدار لأهل القرية اللئام،

فهذه حقيقة خالفت شريعة موسى، واعترض موسى صاحب الشريعة!!

(١) سورة الكهف: ٦٠ ـ ٨٢.

٣ ـ استنبطوا من الآيات أنها تأمر بالتوسل بالأموات، فى قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحٍ﴾ فقالوا: فيها ما يدل على أن بركة الأموات تتعدى إلى الأحياء!!

٤ ـ زعم الصوفية أن الآيات فيها إشارة تدل على أنه يجب على المريد أن يطيع الشيخ طاعة عمياء، كما كان موسى مع الخضر، ولذا قال قائلهم.

كن بين يدى شيخك كالميت بين يدى المُغَسِل يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع!!

فهذه أربعة مواضع قد فهمت من الآيات فهما خاطئا على غير وجهها.

والحق يقال: إن هذه الآيات الكريمة لا تدل على شىء مما ذهبوا إليه البتة،

وإنما جاءت الآيات لتبين لنا فضل العلم والعلماء، والصبر على طلب العلم، وأدب المتعلم مع المعلم، وتأديب الله لأصفيائه، مهما تحملوا من المشاق فى سبيل طلب العلم وكذلك بيان أن الله يمن على من يشاء من عباده.

وبداية الأمر كما بينه النبى ﷺ فقال «إن موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل، فَسُئِلَ أى الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هم أعلم منك، فقال موسى: يارب وكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه «يوشع بن نون» عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جريه فى الماء فصار عليه

مثل الطاق، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة، قال موسى لفتاه ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ـ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به ـ قال له فتاه ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ـ قال: فكان للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وإنى بأرضك السلام فقال: أنا موسى، فقال موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، ثم قال: أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قال له الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول (أجر)، فلما ركبا السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟!

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ. فكانت الأولى من موسى نسيانا، قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة. فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمى

وعلمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال وهذه أشد من الأولى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾. ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ ـ أى مائلا فقال الخضر بيده **(فأقامه)** فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين»[1].

وهنا لنا وقفة نبين فيها بعض الدروس الواردة فى القصة.

ففى قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

ما يدل على نبوة الخضر عليه السلام، فقوله ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ جاءت فى القرآن على الأنبياء والرسل

فى مثل قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي

(١) أخرجه البخارى فى العلم (١٢٢) ومسلم فى الفضائل (٢٣٨٠) واللفظ له.

الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[(١)].

وقوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾[(٢)].

وقوله سبحانه وتعالى عن عيسى عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[(٣)].

وقوله جل وعلا: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[(٤)] وهكذا

وما جاء عن نبينا محمد ﷺ فى مواضع منها ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بعبده...﴾[(٥)]. ﴿الحمد لله الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ....﴾[(٦)]

﴿تبارك الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[(٧)] فهذه واحدة.

وقوله سبحانه فى الآية عن الخضر ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ أليست كقوله تعالى فِي قصة نبى الله «نوح»: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ...﴾[(٨)] ؟!!

وكقوله تعالى فى قصة نبى الله «صالح»: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾[(٩)]؟! وهذه الثانية.

ثم قول الله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا علما﴾ أليس هو الوحى الذى هو للأنبياء؟

وقوله ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أى من عندنا، اقتضت البلاغة القرآنية المغايرة فى اللفظ فى الآية الواحدة، وهى كقوله سبحانه ﴿رَبَّنَا آتنا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[(١٠)]وكقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[(١١)].

وكقوله أيضًا: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أى قد عذرتك فى شأنى، أو أعذرت إلى مرة بعد مرة، فهذا العلم هو من عند الله تعالى، وليس من

(١) سورة ص: الآية (٤١). (٢) سورة ص: (٤٥) (٣) سورة الزخرف: ٥٩.
(٤) صورة ص: (١٧). (٥) سورة الإسراء: (١) (٦) سورة الكهف: ١.
(٧) سورة الفرقان: ١. (٨) سورة هود: ٢٨. (٩) سورة هود: ٦٣.
(١٠) سورة الكهف: ١٠ (١١) سورة النمل: ٦.

عند غيره، وهذه الثالثة.

فالله تعالى قد خص الخضر بعلم لم يطلع عليه موسى، كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر، ولذا قال له موسى ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قال الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أى إنك لا تقدر على مصاحبتى لما ترى منى من الأفعال التى تخالف شريعتك، لأنى على علم من علم الله ما علمكه الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتى ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فأنا أعرف أنك ستنكر على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التى اطلعت أنا عليها دونك، أى وذلك من حكمة الله تعالى التى اقتضت تأديب وتهذيب موسى فيما قاله من قبل «أنا أعلم» ولم يرد العلم إلى الله، فعتب الله عليه، وأراد أن يعلمه.

ومعنى هذا أن الخضر عليه السلام كان صاحب شريعة بوحى من الله تعالى علما واذنا، وأن شريعته كانت تخالف شريعة موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1] وهذه الرابعة. فأين الحقيقة التى زعمها المتصوفة؟ والعلم اللدنى الذى طالما تغنوا به، مخالفين بذلك شرع الله؟ ثم نجد فى نهاية القصة **«وما فعلته عن أمرى»** أى هذا الذى فعلته فى هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدى الغلام، وولدى الرجل الصالح، وما فعلته عن أمرى، أى لكنى أمرت به ووقفت عليه، فمن الذى أمره؟ ومن الذى أوقفه عليه وأعلمه به؟ ففى الآيات دلالة واضحة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام، بل قال بعضهم: كان رسولا وقيل: بل كان ملكا، وذهب آخرون إلى أنه لم يكن نبيا، بل كان وليا، والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة: ٤٨

وهو ـ على أى الأحوال ـ لا يعنى أنه أفضل من موسى، وليس معناه تفضيل الأولياء على الأنبياء ـ كما زعموا ـ وليس فيه ما زعموه من تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، والعلم إلى ظاهر وباطن!!

حتى زعم الصوفية ـ فى بعض كتبهم ـ مستدلين بهذه الآيات: أن الدين حقيقة وشريعة، وأن الشريعة نزلت أولا، ثم نزلت الحقيقة بعد ذلك، وأن النبى ﷺ علم الناس علم الشريعة، ولكنه كتم عنهم علم الحقيقة، فلم يعلمه إلا لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ـ مع أن عليا رضى الله عنه هو الذى صرح بأن الرسول ﷺ ما خصه بشىء.

ثم زعموا أن الحقيقة انتقلت بعد ذلك إلى الحسن البصرى، وظلت تنتقل بين الأقطاب والأنجاب والأوتاد والأحباب!!

وهذا اتهام شنيع وكذب ذريع فى حق الرسول ﷺ، كما عرفت.

ولذلك فرق الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وجعلوا الشريعة لعامة الناس، أما الحقيقة فلا يعرفها إلا الكمل الخلص، الذين تذوقوا حلاوة الإيمان، ولذا يقولون «من ذاق عرف»

وهذا الكلام لا يصح فى دين الله الواضح الصريح، والذى لا تختلف أحكامه حسب الأذواق والمواجيد، والذى يعرف البعض جانبا منه، والبعض الآخر يعرف أشياء لا يستطيع الآخرون التوصل إليها، كما لا نعرف الديوان الصوفى الذى يحكم قطب الأقطاب، ومعه الأقطاب ومن دونهم، وهم يتصرفون فى الكون، فهذه أساطير تشبه أساطير اليونان والاغريق، والصوفية مولعون بالأساطير!!

وأعود فأقول إن الآيات الكريمة لم تحدثنا عن شريعة تبناها موسى، وحقيقة تبناها الخضر، وإنما هما شريعتان اختلفتا فى المنهاج، وقد أذن للخضر أن يفعل ما فعل بأمر من الله، لم يؤذن لموسى به، ولم يعلمه كذلك، ومن هنا كان اعتراضه، بسبب عدم علمه، الذى أريد من قِبل الله ليكون تأديبا لموسى وتعليما.

وفعل الخضر بمقياس الشريعة بالنسبة لخرقه السفينة ارتكاب لأخف الضررين وأهون الشرين، فهو ينزع لوحا منها إلي حين أن يمر الملك الظالم الذى يجد السفينة معيبة، فيتركها لعيبها، فإذا ابتعد الملك الظالم عنهم، قام فوضع الخشبة فى مكانها، وبذلك تسلم السفينة للمساكين.

وهذا الغلام على الرغم من أنه موصوف فى هيئته بأنه «نفس ذكية» إلا أنه مطبوع على الكفر ولو عاش لأرهق والديه طغيانا وكفرا، فمن الخير لهما أن يموت هذا الكافر، وعسى الله أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما، وهذا الذى فعله الخضر بإذن من الله وإرادته سبحانه وهو يتفق كذلك مع ما جاء فى الشرائع من قتل الكفار، وقطع عضو فاسد لصلاح بقية الأعضاء جائز شرعا، وقتل فئة باغية ـ بعد الدعوة إلى الصلح ـ لجمع كلمة المسلمين جائز شرعا، وفى كتاب الله **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[1] .

وأما أمر الغلامين أو شأن الجدار، فواضح حيث إن أهل القرية لئام لا يستحقون الكنز، وقد بخلوا بما عندهم من فضل الله، فحرمهم الله فضله، ولكن الغلامين ليتمهما وصلاح أبيهما، أكرمهما الله تعالى بأن سخر لهما من يحافظ لهما على هذا الكنز، ويبنى عليه الجدار حتى يبلغا أشدهما، فينتفعا ويستطيعا الحفاظ عليه، وهو كقوله تعالى: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾**[2] .

---

(١) سورة الحجرات: ٩ .

(٢) سورة النساء: ٩ .

وكما أنه ليس فى الآية ما يدل على أن بركة الأموات تتعدى للأحياء، مما يخول التوسل بهم، على نحو ما زعموه!! بل هو صلاح الآباء الذى قد ينفع الأبناء.

إذا هذا الذى فعله الخضر هو من صلب الدين، ويتفق مع الشريعة تماما، وعندنا فى الشريعة الخاتمة ما يؤيد هذا ويدل عليه، على الرغم أنه تقع بين الشرائع اختلافات.

ولعل قائلا يقول: فلماذا اعترض موسى إذن؟

والجواب معلوم فى أن موسى لم يعلم شريعة الخضر، إذ قال له الخضر من قبل «يا موسى إنى على علم علمنيه الله لم يعلمك إياه، وإنت على علم علمكه الله لم يعلمنى إياه».

وكذلك أذن للخضر فيما فعل، ولم يؤذن لموسى، للحكمة المرادة من تأديب موسى وتعليمه،

فكان مثلهما كمثل رجلين زارا رجلا آخر، فلم يجداه، وقد علم أحدهما بالإذن المسبق والآخر لم يعلم، فكان إذا رآه دخل الدار بدون إذن اعترض عليه، وإذا جلس فى البيت اعترض عليه، وإذا تناول طعاما اعترض عليه كذلك، حتى بين له فى نهاية الأمر أنه مأذون له فيما فعل.

فكذا كان الأمر بالنسبة لموسى مع الخضر عليهما السلام.

كما ذكر فى كتب التفسير أن الخضر عليه السلام قال لموسى: لم تعترض علىَّ؟!

أليس خرق السفينة كحال الصندوق الذى أمر الله أمك أن تلقيه فى اليم.

وقتل الغلام الذى أمرت بقتله، كقتلك الرجل المصرى وأنت تريد الصلح.

وإقامة الجدار بدون أجر، كما سقيت للفتاتين بدون أجر، وأنت أحوج ما تكون إليه.

إذن هذا الدين واضح، وليس فيه طلاسم ولا ألغاز، وليس هو بالأساطير، ولا بالأذواق.

وزعم الصوفية أنه يجب على المريد أن يطيع شيخه طاعة عمياء بلا جدال ولا تردد ولا اعتراض،

وقالوا: كن بين يدى شيخك كالميت بين يدى المغسل يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع. مستدلين بقصة موسى والخضر عليهما السلام،

فإنا نقول: ليس فى القصة ما يدل على ذلك، بل على العكس منه، لأن موسى كان يعترض ويسأل ويريد التعرف على الحكمة فيما خفى عليه، ولكن الصوفية يصرون على مبدأ من اعترض طرد أو «انطرد»!!

ومع ذلك فيجب احترام أهل العلم، وإذا رأينا خطئًا من العالم فإنه يبين له بأدب جم مع التوقير المطلوب للعلماء.

«فاللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك».

●●●●●

من هما يأجوج ومأجوج؟

٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾[1].

والفهم الخاطئ ارتبط بالإسرائيليات التى حدثتنا عن «**يأجوج ومأجوج**».

فتزعم الاسرائيليات أن يأجوج من ولد نوح أو آدم، وحدث أن آدم احتلم واختلط منيه بالتراب فخلق الله منه يأجوج ومأجوج!!

وزعمت لهم من عظم الخلق ما الله به عليم، تهول فى ذلك تهويلا لا يقبله عقل، ولا يدل عليه نقل، فطول أحدهم مائة وعشرون ذراعاً، وعرضه قريباً من ذلك، وأنهم وهم يمشون فى الأرض إذا لقى أحدهم فيلاً أو أسداً أو حيواناً مفترساً يقبض عليه بيده ثم يأكله!!

وأنهم لهم آذان طويلة جدا، فأحدهم يفترش واحدة ويلتحف بالأخرى!

وأنهما أمتان عظيمتان، فى كل أمة مائة ألف أمة، والواحد منهم ما

(١) سورة الكهف: ٩٢ـ٩٩.

يموت حتى يرى من نسله ألف رجل، كلهم يكون فارساً يقاتل! ونحو ذلك من المبالغات التى يكثر منها المفسرون!!

والحق فى ذلك: أن يأجوج ومأجوج حقيقة، وأنهما من علامات الساعة الكبرى عند خروجهما من كل حدب ينسلون، وأنهما قبيلتان من ولد نوح عليه السلام، وطبيعتهما من طبيعة ما خلق الله عز وجل، كالأمم السابقة، وفيهم قوة وكثرة، ولذلك أفسدوا فى الأرض، كما أفسدت عاد وثمود مثلا، ولما شكى قوم حالهم لذى القرنين، قام فبنى عليهم سداً بين جبلين، على نحو ما وصف القرآن ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ وظل يأجوج ومأجوج داخل السور بين الجبلين فى حالة هرج ومرج، كما قال الله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فإذا جاء وعد الله انهدم السور، وانطلقوا من كل حدب وصوب يأكلون الأخضر واليابس،

هذا ولكونهم كفار، وأنهم من الكثرة بمكان، لذلك فهم حطب النار وأهلها، يملأ الله بهم جهنم، مع سائر الكفار والمشركين من بقية بنى آدم والجن كذلك.

وهذا بخلاف ما ذكر من اسرائيليات حول ذى القرنين فى الاسم والوصف، ومدينته التى بناها، وكيف بلغ المشارق والمغارب؟!

مما لم يصح منه شيء، ولا يجوز أن يلتفت إليه، ويبقى أخذ العظة والعبرة من القصة فحسب، والله أعلم.

●●●●●

آيات مظلومة فى سورة (مريم)

ما المراد بالتقى؟

١ ـ قال تعالى فـى قصة مريم: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(١).

جاء فى الإسرائيليات، واشتهر على ألسنة الناس أن ﴿تَقِيًّا﴾ كان رجلا فاجرا اشتهر بالفاحشة، فمريم استعاذت منه على هذا الأساس.

وهو أمر منكور، وفهو مقلوب.

والصحيـح: أنه لما تبدى لها الملك فى صورة بشر، وهـى فى مكان منفرد وبينهـا وبين قومها حجاب خافتة وظنت أنه سيـراودها عن نفسها، فقالت إنى أعوذ بـالرحمن منك إن كنت تقيـا أى إن كنت تخاف الله ـ تذكير له بالله، وهذا هو المشروع فى الـدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بـالله عز وجل، ولأنها علمت أن التقـى إذا ذكر باللهتذكر، وإذا أراد المعصية انزجـر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٢).

فأجابها الملك مزيلا لما حصل عنـدها من الخوف على نفسها مما تظن ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الآيات(٣).

●●●●●

---

(١) سورة مريم: ١٨.
(٢) سورة الأعراف: ٢٠١.
(٣) سورة مريم: ١٩.

من هو هارون؟

٢ ـ قال تعالى أيضا: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[١].

فتساءل قوم: كيف تكون مريم أختا لهارون؟ وبينهما قرون؟

أقول: وإنما جاء هذا التساؤل بناء على أنهم اعتقدوا أنه هارون أخو موسى عليهما السلام، وليس الأمر كذلك، وإنما تخريجه على النحو التالى:

أ ـ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ أى شبيهة هارون فى العبادة، والفضل والشرف، كما يقال: فلان أخو فلان أى يشبهه. يعنى أنت من بيت طيب طاهر ومعروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟.

ب ـ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ لأنها كانت من نسله، كما يقال للتميمى: يا أخا تميم، وللمضرى يا أخا مضر.

جـ ـ وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تتأسى به فى الزهادة والعبادة.

د ـ كان لها أخ يسمى هارون، كما صح فى الحديث عن المغيرة بن شعبة قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرأون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم»[٢].

●●●●●

(١) سورة مريم: ٢٧، ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم فى الآداب (٢١٣٥) والترمذى فى التفسير (٣١٥٥) وأحمد (٤/ ٢٥٢).

ما معنى ورود جهنم؟

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[١] .

والفهم الخاطئ: ظن كثير من المسلمين أن الورود المذكور فى الآية هو دخول جهنم، وأن الناس جميعا سيدخلونها!! .

ومن ثم كثر التساؤل حول هذه الآية، ما معناها وما المراد منها.

فنقول: لا ننكر فى البداية أن بعض السلف فهموا هذا المعنى السابق وذكروه. فهذا ـ مثلا ـ: «عبد الله بن رواحة رضى الله عنه» ـ وكان واضعا رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكى فبكيت، قال: إنى ذكرت قول الله عز وجل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا...﴾ فلا أدرى، أنجو منها أم لا ـ وفى رواية ـ وكان مريضا[٢] .

وهذا «أبو ميسرة» إذا آوى إلى فراشه، قال يا ليت أمى لم تلدنى، ثم يبكى فقيل له وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها[٣] .

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصرى، قال قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار، قال: نعم، قال: هل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال ففيم الضحك؟ قال: فما رئى ضاحكا حق لحق بالله.

وأمثال هذا مما ورد على سبيل الخوف من الله، والرهبة من عذابه، من قلوب ملئت بالإيمان، ويمكن التذكير به فى جانب الترغيب والترهيب.

---

(١) سور مريم: ٧١، ٧٢. (٢) أورده الطبرى فى التفسير (١٦/ ٨٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١١٨، ١١٩) والحاكم فى المستدرك (٤/ ٥٥٨) وصححه وأخرجه عبدالرزاق فى مصنفه بإسناد صحيح رجاله ثقات، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/ ٨١٣).

ولكن الحق الذى نراه فى تفسير هذه الآية، أن الورود بمعنى المرور على الصراط الذى مد على متن جهنم، فالكل يتردى فيها عدا عن أهل التقوى الذين كتب لهم النجاة.

والذى يجعلنا نرجح هذا هو الجمع بين النصوص التى جزمت بأن كثيرا من المؤمنين قد حرم الله أجسادهم على النار، وأنهم يدخلون الجنة بدون حساب أو سابقة عقاب.

وقد ورد عن ابن مسعود ـ مرفوعا ـ قال: يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير. ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعَدْوِ الرجل، حتى إن آخرهم مرا: رجل نوره على موضع إبهامى قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من النار يختطفون بها الناس.. وذكر تمام الحديث»[1].

وعنه قال: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون ـ والملائكة يقولون: «اللهم سلم سلم»[2].

وعن حفصة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله ـ أحد شهد بدرا والحديبية، قالت: فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قالت: فسمعته يقول ﴿ثُمَّ نُنَجِّي

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢) وأخرجه الترمذى فى التفسير (٣١٥٨) والدارمى فى الرقاق (٢٨١٠)، وأحمد (١/ ٤٣٥) مختصرًا، وهو بعض حديث طويل أخرجه البخارى فى التوحيد (٧٤٣٩) ومسلم فى الإيمان (١٨٣)

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى التفسير (١٦/ ٨٣)

الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[١].

وعن قتادة فى تفسير ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ «قال هو الممر عليها».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها، وقد قال النبى ﷺ: الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسر يومئذٍ سماطان من الملائكة دعاؤهم: يا الله سلم سلم[٢].

وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ أى إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهى مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما فى قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذى يليه، ثم الذى يليه حتى يخرجون من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيرا قط، ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ ا. هـ[٣].

●●●●●

---

(١) أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٩٦) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٨١) واللفظ له، وأحمد (٦/ ٢٨٥).

(٢) رواه ابن جرير فى التفسير (١٦/ ٨٣).

(٣) أورده ابن كثير فى التفسير (٣/ ١٣١ ـ ١٣٤) بتصرف.

آيات مظلومة فى سورة «طه»

ما معنى (طه)؟

(١) ونبدأ بقوله تعالى: ﴿ طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[١].

والفهم الخاطئ فى معنى ﴿طه﴾ فزعم قوم أنها اسم من أسماء النبى ﷺ.

وفى أوراد الصوفية: صلى الله على طه خير الخلق وأحلاها.

وجاء فى التفسير: طه بمعنى رجل، أو طأ أى طأ الأرض برجلك!!

والحق أنها من جنس الحروف المقطعة التى فى أوائل السور، وهى تسع وعشرون سورة فى القرآن الكريم، ويقال فيها ما يقال فى تلك الحروف، وأفضل ما ذكر فى ذلك: الله أعلم بمراده فيها.

وأما زعم أنها من أسماء النبى ﷺ، فهذا ما لا يصح من قريب أو بعيد.

وقد صح فى الحديث أنه ﷺ قال: إن لى أسماءً: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب فلا نبى بعدى»[٢] وفى رواية «وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد» واللفظ لمسلم.

ولم يقل ﷺ فى حديث صحيح ولا ضعيف أن من أسمائه ﴿طه﴾ ولا ناداه به أحد من أصحابه، ولا عرف ذلك عنه.

●●●●●

---

(١) سورة طه:١، ٢.

(٢) أخرجه البخارى فى التفسير (٤٨٩٦) ومسلم فى الفضائل (٢٣٥٤).

هل كان موسى بلسانه علة؟

(٢) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (١).

والفهم الخاطئ بالنسبة للآية ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ إذ زعم قوم أن موسى عليه السلام، كان لا يستطيع الكلام، ولا يكاد يبين، ثم قالوا: ،كيف يكون هذا وهو نبى معصوم منزه عن المرض الذى يحول دون البلاغ والتبيين لرسالته، وأداء دعوته، أو أنه كان بلسانه علة أو لثغة، وفى الاسرائليات ـ وقد ذكرت فى حديث الفتون لابن عباس ـ أن موسى لما دخل على فرعون وهو صغير جذبه من لحيته فمدها إلى الأرض، فخشى فرعون منه أن يكون هو الفتى الذى يصرعه ويذهب ملكه على يديه، ومن أجل ذلك يقتل أبناء بنى اسرائيل، فلما رأت امرأة فرعون ذلك وقد خشيت على موسى منه، وكانت تحبه حبا جما، قالت له: ما بدا لك فى هذا الغلام الذى وهبته لى؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى، فقالت: اجعل بينى وبينك أمرا يعرف الحق به، نعرض عليه تمرة وجمرة، فإن تناول الجمرة فهو لا يعقل، وإن تناول التمرة عرفت أنه يعقل، فتناول الجمرة فوضعها على لسانه، أو نحو من هذا فى كلام ابن عباس.

وابن عباس إذ يحدث بمثل هذا من باب ما أبيح نقله من الإسرائيليات، التى يستأنس بها ولا يستشهد بها، وفى الحديث «حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج»(٢).

---

(١) سورة طه: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) رواه أبو داود فى العلم (٣٦٦٢) والترمذى فى العلم (٢٦٦٩) وأحمد (١٥٩/٢) وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود برقم (٣١١٠).

ولكن فى رواية حديث الفتون لابن عباس لم يذكر التمرة، بل جاء فيه «. . فقالت ـ أى امرأة فرعون: اجعل بينى وبينك أمرا يعرف الحق به، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه، فإن بطش باللؤلئتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلئتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين، فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به، وكان الله بالغا فيه أمره. . .»[1].

وهذه الرواية كما ترى ليس فيها تمره، ولا أن تناولها ولم يصب منها بلثغة ولا غيرها.

وبناءً على ذلك فإننا نرى أن المعنى القريب لهذه الآية ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ إنما هو زوال العى منه حتى يحصل لهم فهم ما يريد منه، أو هو اللحن فى الكلام نتيجة غربته عن أهل مصر عشر سنوات، التى ظل يتكلم فيها بلهجة أهل مدين ولغتهم، حتى استعجمت على لسانه لغة المصريين ولهجتهم، فصارت كالعقدة فى لسانه، وهذا أمر مشاهد فى الناس، على الرغم من وحدة اللغة بين العرب. إلا أنه مع اختلاف اللهجات، يصعب على المصرى أن يفهم الشامى، أو العكس منه، وكذا قل مع اختلاف اللهجات واللغات.

إننا نعلم أن الأنبياء معصومون من كل مرض منفر، وواجب لهم كل كمال بشرى إجمالا، وأما تفضيلا: فالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

---

(١) أخرجه أبو ليلى فى مسنده (٢٦١٨) وابن جرير الطبرى فى التفسير (١٦/ ١٢٠، ١٢١) وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٤/ ٥٣٠)والهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٥٨)وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إصبغ بن زيد والقاسم بن أبى أيوب وهما ثقتان.

وهذا التبليغ يحتاج إلى فصاحة فى القول، وصحة فى التعبير، وبيان للمراد،

وهذا هو الذى سأل موسى ربه أن يزوده إياه، وأن يمنحه تلك المؤهلات. فالذى نعتقده أن المسألة ليست مرضا، ولا عيبا خلقيا، ولا لثغة أو غير ذلك. إنما هو مجرد اختلاف اللهجات بين مصر ومدين، ولذلك قال ﴿وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[1] فهذا هارون عاش بمصر ويعرف لغتهم جيدا، لأنه لم يفارقهم ولم يتأثر بلهجة غيرهم، أو بلغة أحد سواهم.

●●●●●

(١) سورة القصص: ٣٤.

هل كان محمد ﷺ يعلم القرآن قبل نزوله؟

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١) .

والفهم الخاطىء فى قوله: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

إذا زعم فيها بعض المتصوفة زعما لم يسبقوا إليه، ولم يقل به أحد غيرهم،

فزعم ابن عربى ـ ومن وافقه ـ أن هذه الآية تدل على أن النبى محمدًا ﷺ كان يعلم القرآن قبل نزوله، وأنه كان يقرأه قبل جبريل، فنهى عن ذلك ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ...﴾.

وجاء فيما اشتهر على ألسنة الصوفية أن النبى محمداً ﷺ سأل جبريل: عمن تأخذ القرآن؟

فقال: أتلقاه من وراء حجاب، فقال: لو كشفت الحجاب يوما! ففعل، فإذا به يجد النبى ﷺ، فصاح قائلا: منك وإليك يا محمد!!!!

ولا تعجب فهذه ضلالة هينة بين ضلالات ابن عربى وأمثاله من أصحاب الاتحاد والحلول.

والفهم الصحيح للآية هو الذى تدركه لمجرد قراءة الآية وهو من الوضوح بمكان،

فهذه الآية التى بين أيدينا كقوله تعالى فى سورة القيامة: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ

(١) سورة طه: ١١٣، ١١٤.

لسانك لتعجل به ﴿١٦﴾ إن علينا جمعه وقرآنه ﴿١٧﴾ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴿١٨﴾ ثم إن علينا بيانه﴾[١].

وثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة[٢]، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله هذه الآية، يعني أنه عليه الصلاة السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه، فقال ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به .إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أي أن نجمعه في صدرك ثم تقرؤه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه﴾ وقال في هذه الآية ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أي بل أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده»[٣].

إذا فهل الأمر كما زعم ابن عربي ومن وافقه، وهو يفسر تلك الآية، فيقول: إعلم أن رسول الله أعطى القرآن مجملا قبل جبريل، من غير تفصيل الآيات والسور، فقيل له، لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل، فتلقيه على الأمة مجملا. فلا يفهم أحد عنك لعدم تفصيله»[٤].

وما زال يهذي بهذه الأسطورة أناس من الصوفية، تلقونها صوفي عن صوفي في كل حانة صوفية؟!!

إن بطلان هذه الفرية بدهي يحكم به من في قلبه بارقة من إيمان، يبدأ أن غشاوة الصوفية على بصائر معتنقيها حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية الأولى وهي أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له، فلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية؟!

(١) سورة القيامة: ١٦ ـ ١٩.
(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي (٥) ومسلم في الصلاة (٤٤٨).
(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٦٧.
(٤) الكبريت الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر ـ٦ طـ١٣٠٧هـ.

لهذا نذكر بهدى الله سبحانه وتعالى فى قوله عز من قائل﴿علمه شديد القوى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴾(١) . آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسول الله «القرآن» هو جبريل عليه السلام، وإلى أنه ﷺ لم يكن على علم بشىء ما منه قبل أن ينزل جبريل به عليه.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً . وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٢) ويقول ابن عربى: أنه نزل عليه جملة واحدة، فقوله هذا هو قول الكافرين.

وقوله سبحانه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(٣) نؤمن بأن محمدا ﷺ لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا فى ليلة القدر فمتى علم الرسول القرآن مجملا؟ أقبل ليلة القدر أم بعدها؟ ومن علمه إياه مجملا؟ أجبريل أم غيره؟ ويهب الله للحق برهانا تنجاب به كل ريبة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾(٤) أيفهم الصوفية، أم هى اللجاجة فى العناد؟

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٥) .

وقرية الصوفية تناقض هذه الحجج الإلهية على صدق محمد ﷺ.

أولا يذكر الصوفية أن رسول الله ﷺ حين فاجأه الوحى، كان يقول ـ

(١) سورة النجم آية ٥ ـ ٧.
(٢) سورة الفرقان آية ٣٢، ٣٣.
(٣) سورة القدر آية ١.
(٤) سورة الشورى آية ٥٢.
(٥) سورة يونس، آية ١٥، ١٦.

وجبريل يغطه: ما أنا بقارئ؟!!

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق، وأن هذه المؤمنة العظيمة قالت له قولها التى طيبها الإيمان بروحانيته **﴿والله لا يخزيك الله أبدًا.....﴾**[1].

أفكان يحدث هذا أو بعضه، لو أنه ﷺ كان على بينة من القرآن قبل نزوله عليه؟

لم قال: ما أنا بقارىء؟ يكررها ثلاثا؟ لم عاد خائفا حتى زملوه ودثروه؟ لم بث نفسه إلى زوجة خديجةرضى الله عنها، ولم ذهب معها إلى ورقة بن نوفل؟!!

كل هذا حدث منه ﷺ حتى بعد نزول الوحى عليه! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن، ويقيم جازم به قبل نزول جبريل عليه به فى ليلة القدر، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية فأجاها من الله سبحانه مالم تكن تدريه من قبل؟!

ولقد كان أعداء الرسول ﷺ يسألونه محرجين معنتين، يبغون تكذيبه والتجديف عليه، فلم يكن يجيبهم بشىء - لأنه لا يعرف الجواب - عما سألوه عنه، إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به، سألوه عن الروح، وعن فتية الكهف، وعن ذى القرنين، فقال ﷺ: غدا أجيبكم.

وأنساه حرصه النبيل على إقامة الحجة عليهم وعلى هدايتهم، فلم يقل: إن شاء الله، ففتر عنه الوحى حتى حزبه الأمر وبلغت به الشدة مبلغها، ولم لا؟ وعدوه متربص به، حريص على تكذيبه، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته، ورغم هذا يفتر عنه الوحى، ثم منَّ الله عليه به، فعلم عن الله جواب ما سألوه عنه، فقال الرسول ﷺ لجبريل: **«لقد رئت**

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى (٣) ومسلم في الإيمان (١٦٠).

على حتى ظن المشركون كل ظن» فنزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾(١).

أفكان يحدث هذا، لو أن رسول الله ﷺ كان على بينة من القرآن قبل نزوله؟لماذا لم يجب من سألوه؟لأنه لم يكن يعرف الجواب، ولكن «ابن عربى» يكفر بكل تلك الدلائل ويفترى أسطورته، ولو كان النبى ﷺ يعلم القرآن قبل نزوله، فلم سكت شهرا كاملا، بلغت فيه القلوب الحناجر. إذ الناس يتهمون النبى ﷺ فى عرضه، وفى أحب الزوجات إلى قلبه بتهمة الفاحشة،ويخرج إليهم النبى ﷺ يقول: «**من يعذرنى فى أهلى؟وتحدث فتنة عظيمة فى المسجد، ويذهب بعدها إلى عائشة ويقول لها: «إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله تعالى**» حتى نزلت آيات البراءة وهو فى مجلسه ﷺ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ...**﴾(٢).الآيات.

●●●●●

---

(١) سورة مريم آية ٦٤ وانظر تفسير ابن كثير للآية، جـ٣ صـ١٣٠ وفى سورة الكهف صـ٧١.

(٢) سورة النور ١١ ـ ١٦ انظر تفسير ابن كثير للآيات جـ٣ صـ٢٦٨ ـ ٢٧٨.

ما هى معصية آدم؟

(٤) قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[١].

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه وغوى بمخالفة أمر الله واستجابته لدعوة الشيطان واستدل بها على عدم عصمة الأنبياء، واتهم فيها نبى الله آدم عليه السلام.

ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسيانا منه لعهد الله، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان، لأن ذلك تكليف بما لا يطاق، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها، والأصل فى هذه القاعدة قول الله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٣].

والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسيانا وعن غير عمد، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٤] أى أن آدم نسى عهد الله الذى وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، ولم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه، حيث لم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه، وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة.

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصيانا، نظرا لمقام آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، والذى شأنه هكذا يجب أن يكون يقظا كأقوى ما تكون

---

(١) سورة طه: ١٢١، ١٢٢.
(٢) سورة الأحزاب: ٥.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.
(٤) سورة طه: ١١٥.

اليقظة حتى لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه، فهذا ـ كما يقال ـ من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

هذا فضلا عن أنها كانت صغيرة وقعت منه قبل أن يجتبيه الله للنبوة.

والذى نعلمه يقينا أن الله تعالى تاب عليه وهداه، واجتباه نبيا مصطفى.

وهبوط آدم من الجنة إلى الأرض بقدر سابق، إذ خلق الله آدم ليكون فى الأرض، لا فى الجنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية(٥) وليس فى الجنة، وإنما فتره مقامه فى الجنة كانت تشريفا ، وتعليما، وقدرا مبرما. والله أعلم.

●●●●●

(١) سورة البقرة: ٣٠.

آيات مظلومة فى سورة الأنبياء

جاء فى قصص بعض الأنبياء ذكر إسرائليات تعتبر اتهاما للأنبياء، وفيها نفى لعصمتهم.

وتكررت هذه الشبهات على ألسنة الناس من المغرضين والجاهلين والمتكلمين والمستشرقين، ومن ذلك:

ما معنى (بل فعله كبيرهم)؟

(١) قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ .قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[١]

والشاهد: هو قوله سبحانه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ وما ترتب عليه من فهم وأحكام،

والزعم: أن هذا الكذب يتنافى مع عصمة إبراهيم وخلته، وكيف يليق به مثل هذا؟

والحق أن هذا ليس من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله ـ حاشا وكلا، ولما ـ وإنما يطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى، كما جاء فى الحديث «إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب»[٢] وكما جاء فى الحديث أيضا «كلمات إبراهيم عليه السلام الثلاث التى قال، ما منها من كلمة إلا ماحل بها عن دين الله تعالى. الحديث»[٣]أى دافع بها عن دين الله .

---

(١) سورة الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٣.

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبري (١٠/ ١٩٩) والقضاعى فى مسند الشهاب (١٠١١) وابن عدى فى الكامل (٣/٩٦) .

(٣) رواه ابن أبى حاتم عن أبى سعيد.

فقول إبراهيم عليه السلام ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم﴾ إنما عرض لهم فى القول حتى يقول ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُون﴾ وإنما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق، فيعترفوا أنها جماد كسائر الجمادات فيقيم عليهم الحجة ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُون﴾ إن إبراهيم عليه السلام لما سأله قومه ﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ شعر بأن الفرصة قد سنحت له ليبلغ مأربه وليصل إلى الحقيقة التى أراد أن يقروا بها، فبأسلوب حكيم يجيبهم على سؤالهم بأن محطم الأصنام هو كبيرهم، وأن الشاهد على فعله هو بقية الأصنام، وتابع قوله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُون﴾ فقد غضب الصنم الكبير أن تعبدوا هذه الأصنام الصغيرة، وهو أكبر منها فكسرها، وبلا وعى ولا تفكير ينزلق القوم فى هذا المنزلق الذى دفعهم إليه إبراهيم، فيقول بعضهم لبعض: أنتم الظالمون بعبادة معبودات لا تستطيع النطق، وأنتم الظالمون باتهام إبراهيم، ولكن الحقيقة تصدمهم بعد ذلك فإذا بهم يطرقون برؤوسهم من الخجل ثم يعودون إلى مجادلة إبراهيم قائلين: إنك تعلم أن هذه الأصنام لا تقدر أن تنطق فكيف تطلب منا أن نسألها؟ حينئذ برزت حجة إبراهيم مدوية مجلجلة تقرع آذانهم، وتفحمهم بهذا الجواب البليغ ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُون﴾ هذا والكذب هو الاخبار عن شىء على غير ما هو عليه فى الواقع مع اعتقاد المخبر أن ما قاله غير مطابق للواقع قاصدا بذلك خديعة السامع، ولم يكن كلام إبراهيم بهذا المعنى بل فيه من التهكم والسخرية ما فيه.

أقول: وحتى لو كان كذبا، فهو على الأعداء، وهذا جائز كما أنه لصالح الدين والدفاع عنه، وقد شهد له بذلك رسول الله ﷺ، كما فى الحديث الذى سبق ذكره.

أقول أيضا: أرأيت لو أنى كتبت لوحة بخط جميل، فسألنى أمى لا يقرأ ولا يكتب؛ هل أنت الذى كتبت هذه اللوحة الجميلة بذلك الخط الجميل؟ فقلت؟ لا، أنت!!

ترى هل هذا يكون كذبا أم يكون تهكما؟!

●●●●●

ما هو ضر أيوب؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]

الفهم الخاطئ: هو ما زعمه المفسرون حول ضر أيوب ومرضه، الذى استقوه من الاسرائليات.

فزعموا ـ ما لا يليق فى حق الأنبياء أصلا ـ من أنه مرض مرضا منفرا، وقالوا أصيب بالجذام فى سائر بدنه، ولم يبق منه شىء سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس، وأفرد فى ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته التى كانت تقوم بأمره، وقالوا: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله حتى باعت شعرها، وأنه مكث فى البلاء مدة طويلة، ثم ألقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده حتى فرج الله عنه بل قالوا: تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه، فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لو دعوتك ربك يفرج عنك. !!

والحق أن هذا وأمثاله ـ وهو مطول فى كتب التفسير ـ إنما هو من جنس الإسرائيليات المرفوضة، لأنها ذم لأنبياء الله، وفيها ما يتنافى مع عصمتهم من الأمراض المنفرة، والعقول السليمة تستبعد ذلك، وتقبل ما يكون من باب البلاء، ولا يحمل معنى الجزع، ولا يكون من جنس الأمراض المنفرة.

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.

فالذى أشار إليه القرآن أن أيوب عليه السلام أصابه من البلاء - فى ماله وولده وجسده - الشىء الكثير، بحيث كانت له من الدواب والأنعام والحرث شىء كثير، وأولاده كثيرة، ومنازل مرضية فابتلى فى ذلك كله، امتحاناً واختباراً، فصبر عليه السلام صبرا صار مضرب المثل «صبر أيوب».

وقد حدثنا النبى ﷺ فقال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه»[1].

وقد كان نبى الله أيوب عليه السلام كذلك، غاية فى الصبر

ثم دعا ربه، بعد ما أصابه الضر، وصبر عليه، ثم رأى أو سمع ما آذاه، فجعل يدعو - والدعاء مشروع، لكنه أبطأ به، ليعبد الله بالصبر على البلاء، كما عبده من قبل بالشكر على الآلاء - فقال: **﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** فاستجاب الله دعاءه، وكشف ضره، وعفا عنه، وأوحى إليه **﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾**[2] وفى نفس الوقت رد عليه أهله وماله ومثلهم معهم تفضلا وتكرما، وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله فى ثوبه، قال: فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يارب ومن يشبع من رحمتك؟[3].

وهو الذى قاله الله **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم**

---

(١) أخرجه الترمذى فى الزهد (٢٣٩٨) وابن ماجة وفى الفتن (٤٠٢٣) وأحمد (١/ ١٧٢) واللفظ له وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (١٤٨١) إسناده صحيح.

(٢) سورة ص: ٤٢

(٣) أخرجه البخارى فى الغسل (٢٧٩) والنسائى فى الغسل (٤٠٧) وأحمد (٢/ ٢٤٣).

مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾[١] أى ما فعلناه به ذلك رحمة من الله به، وجعلناه فى ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به فى الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة فى ذلك[٢].

ما معنى (فظن أن لن نقدر عليه)؟

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣] قال قوم: كيف يظن يونس عليه السلام ـ وهو نبى ـ أن الله لا يقدر عليه؟!

والجواب: أخطأ من زعم أن قوله ﴿ لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ من القدرة، وإنما هنا بمعنى أن لن نضيق عليه، ويقال: قَدَر، وقدَّر بالتخفيف والتشديد، وكلاهما بمعنى واحد.

وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه نعمه فيقول ربى أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن. كلا.....﴾ فقدر عليه رزقه أى ضيق عليه، وهنا ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بمعنى: أن لن نضيق عليه، إذ ترك قومه وخرج يبحث عن آخرين، ظانا أن الله لا يعاقبه على ذلك، فكان من أمره ما حكاه الله تعالى مجملا فى تلك السورة، ومفصلا فى سورة الصافات والقلم.[٤]

●●●●●

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٨٨ ـ ١٩٠ بتصرف.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٩٣ بتصرف.

آيات مظلومة من سورة الحج

ما معنى التمنى؟

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [١] .

والفهم الخاطى يتمثل فيما ذكره المفسرون عن تفسير هذه الآيات من أنها تعنى أن الشيطان يوحى إلى الأنبياء والرسل ويلبس عليهم، ويدخل كلاما مما يلقيه فى قراءة الأنبياء حتى ينسخ الله ذلك ويحكم الآيات.

وتجد المفسرين يذكرون عندها قصة الغرانيق ـ المزعومة ـ وسنذكرها فى حينها إن شاء الله.

والفهم الصحيح، أننا نقول: هذا كذب محض، وافتراء على الله وعلى رسله،

فإن الآية تقرر أنه ما من نبى ولا رسول تمنى هداية قومه، واستجابتهم لدعوته إلا جاء الشيطان واضعا أمامه العقبات وميئسا له من الوصول إلى الهدف الذى يستهدفه، إلا أن الله سبحانه وتعالى يعجل بإزالة ما يلقى الشيطان من وسوسة تيئسه ويحيى فى نفسه الأمل والرجاء.

---

(١) سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٥.

وفى ذلك تمحيص لأهل الحق، وفتنة لضعاف الإيمان، فالذى أوتوا العلم يعلمون أنه الحق من ربهم، وتخبت له قلوبهم.

كما يقال: كيف يجوز أن يلقى الشيطان هذه الكلمات التى فيها مدح للأوثان؟ وكيف يكون للشيطان على الرسول سبيل أو سلطان، وهو مخالف لقوله تعالى ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾(١). وأى شخص أحق بهذه العبودية من الأنبياء، وكما قال تعالى ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾(٢) فكيف بالنبى ﷺ؟ فأى بشر أصدق إيمانا وأقوى توكلا من رسول الله؟ وقد صدق الشيطان ذلك كما حكاه الله تعالى عنه بقوله ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾(٣).

ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء أو من أشد إخلاصا منهم؟ وكيف، وقد كان للرسول ﷺ شيطان فأسلم فصار لا يأمره إلا بخير؟!!

وكيف يصح أن يزيد الرسول ﷺ فى القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهواً إن كان مغايرا؟ وأين هذا من العصمة؟

ولو صح ذلك ولذهبت الثقة بالأنبياء، ولو وجد المارقون سبيلا للتشكيك فى الدين!!

ومن ثم فما ذكر حول القصة المزعومة لم يصح عقلا ولا نقلا بوجه من الوجوه

وقد وجب من قبل الإيمان بعصمة الأنبياء والرسل.

●●●●●

(١) سورة الحجر: ٤٣

(٢) سورة النحل: ٩٩.

(٣) سورة ص: ٨٢، ٨٣.

آيات مظلومة فى سورة المؤمنون

ما المراد بملك اليمين؟

١ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1].

والشاهد ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ والفهم الخاطئ تمثل فى الشبهة التى قالها المستشرقون، ورددها المستغربون، لماذا أباح الإسلام الرق، وأباح ملك اليمن والتسرى بالجوارى والاستمتاع بهن، حتى جعلوا ذلك من صور البغاء، قالوا ولكن هى بطريقة تختلف عن البغاء الموجود فى الجاهليات المختلفة.

وهذه الشبهة من أخبث ما يلعب به أعداء الإسلام لزلزلة عقائد الشباب، فتوافق جهل كثير من المسلمين بمعرفة الفهم الصحيح لذلك فتساروهم بعض الشكوك، كيف أباح الإسلام الرق؟ وهو دين قام على المساواة الكاملة، وهو الذى رد الناس جميعًا إلى أصل واحد، وعاملهم على هذا الأساس، كيف جعل الرق جزءا من نظامه وشَرَّع له؟ هل يريد الله للناس أن ينقسموا إلى سادة وعبيد؟

والإجابة: إن الإسلام لم يشرع الرق، وإنما شرع العتق، إن الإسلام صنع للرقيق مالم يصنعه غيره، ولو سارت الأمور إلى وجهتها وفق ما رسم، ما تعرضت أجيال غفيرة لهذا البلاء المبين.

فما أقر الإسلام الخطف الذى انتشر فى العصور القديمة والحديثة، والتى وسعت دائرة الاسترقاق على نحو رهيب.

---

(١) سورة المؤمنون: ٥ ـ ٧.

وأما لماذا لم يغلق الإسلام باب الرق تماما واستخدم معه التدريج فذلك لأسباب منها :- أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تكتنف العالم الذى ظهر فيه الإسلام كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما، وتجعل كل محاولة لإلغائة إلغاء سريعا مقضيا عليه بالفشل والإخفاق.

٢ ـ أن الإسلام لم يقر الرق إلا فى صورة تؤدى هى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج.

والوسيلة التى ارتضاها للوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة وهى تتلخص فى مسلكين: أحدهما : تضييق الروافد التى كانت تمد الرق وتغذيه وتكفلبقاءه، بل العمل على تجفيفها تجفيفا كاملا. والآخر: توسيع المنافذ التى تؤدى إلى العتق والتحرير، وبذلك أصبح الرق أشبه شىء بجدول كثرت مصباته، وانقطعت عنه منابعه التى يستمد منها الماء، وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف، وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرق فى صورة سليمة هادئة، وأتاح للعالم فترة للإنتقال يتخلص منها شيئا فشيئا من هذا النظام، ونختصر القول على هذين المسلكين اختصارا فيما يلى:-

أولا: ـ تضييق الإسلام لروافد الرق التى كانت قائمة متمثلة فى الآتى:

(١) إنتماء الفرد إلى شعب معين، أو طبقة معينة.

(٢) الحرب بجميع أنواعها. (٣) القرصنة والخطف والسبى.

(٤) ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا.

(٥) عجز المدين عن سداد الدين. (٦) سلطة الوالد على أولاده.

(٧) سلطة الشخص على نفسه فيبيع نفسه لقاء ثمن معين.

٨ - تناسل الرقيق، فكان ولد الأمة يولد رقيقا، ولو كان أبو حرا، ولو كان أبوه السيد نفسه .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم فى تيار الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس، حتى إن عدد الرقيق كان يزيد على عدد الأحرار زيادة كبيرة فى شعوب كثيرة من بينها العبريون والرومان وعرب الجاهلية.

جاء الإسلام وروافد الرق بهذه الكثرة والغزارة والقوة، فحرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين وهما:

١ - رق الوراثة وهو الذى يفرض على من تلده الجارية، ثم قيده بقيود، فاستثنى من أولاد الجوارى مواليهن، فيكون حرا، وهذا هو الغالب فى أولاد الجوارى، وهذا كفيل بالعمل على جفاف هذا الرافد ونضوبه بعد أمد غير طويل.

٢ - رق الحرب الذى يفرض على الأسرى، وقيده بأنه لا يكون بين طائفتين من المسلمين، وكذلك بالنسبة للحروب الأخرى بين المسلمين وغيرهم - لابد وأن تكون الحرب مشروعة أى يجيزها الإسلام، وتنفذ وفق قوانينه، ويعلنها خليفة المسلمين، فإذا لم تكن كذلك فإنها لا تؤدى إلى رق من يؤسرون فيها، وحتى مع توافر هذه الشروط فإن الإسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر، بل يبيح للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل، أو يطلق سراحهم فى نظير فدية أو عمل يؤدونه، أو فى نظير أسرى من المسلمين عند العدو أو فى نظير جزية تفرض على رؤوسهم، وفضل الإسلام المن والفداء على غيره فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (١).

(١) سورة محمد: ٤ .

ثانيا: ـ توسيع الإسلام لمنافذ العتق: فبينما لم يكن قبل الإسلام إلا منفذ واحد وهو رغبة المولى فى تحرير عبده، جاء الإسلام فحطم جميع القيود، وفتح للعبيد أبواب الحرية على مصاريعها، وأتاح لتحرير العبيد آلافا من الفرص، وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل، ومثاله:

١ـ عتق السيد لعبده بأية صورة أو لفظ يدل على العتق ولو لم يقصد.

٢ـ وبالتدبير ما يدل على تحرير العبد بوصية بعد موت سيده.

٣ـ أن يأتى السيد من جاريته بولد.

٤ـ المكاتبة بأن يكاتب السيد عبده بالاتفاق معه على مبلغ من المال.

٥ـ عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التى يكثر حدوثها فجعل كفارتها تحرير الرقيق، وجعله قربة كبيرة يتقرب بها العبد إلى ربه ويكفر بها خطاياه، ومن ذلك: القتل الخطأ ـ والإفطار المتعمد فى رمضان ـ والحنث فى اليمين، وكفارة الظهار ـ ومن لم يملك عبدا لكفارته وجب عليه أن يشتريه ثم يعتقه، وهذا فى الكفارات فضلاً عن القربات.

وأما عن الجزئية الثانية: ماذا عن التسرى بملك اليمين الذى أباحه الإسلام، كما هو فى الآية: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ فكما قاله بعض الذين فى قلوبهم مرض من مستشرقين أو مستغربين أو ملحدين، يقولون كيف يبيح الإسلام نظام الجوارى؟ وكيف يترك المجال للسيد أن يقضى وطره بعدد من النساء رغبة فى لذة الجنس وإشباع الشهوة؟ وقبل أن أجيب على هذه الشبهة التى يثيرها أعداء الإسلام حول نظام الجوارى أريد أن أبين هذه الحقائق:ـ

١ ـ لا يجوز للمسلم أن يقضى وطره مع أية أسيرة من أسرى الحرب إلا بعد أن يقضى الحاكم باسترقاقهن.

٢ـ ولايجوز للمسلم أن يقضى وطره إلا بعد أن تصبح ملك يمين له.

٣ـ ولا تصبح الأسيرة بعد استرقاقها ملك يمين المسلم إلا فى حالتين: الأولى: أن تصبح الجارية نصيبه من الغنيمة. والثانية: أن يشتريها من الغير إذا كانت مملوكة، وبعد أن تصبح ملكا له، لا يجوز أن يمسها إلا بعد أن يستبرئها بحيضة على الأقل للتأكد من عدم الحمل، ثم يأتيها إن شاء، كما يأتى زوجته.

وبعد تبيان هذه الحقائق أجيب على هذه الشبهة التى يثيرها أعداء الإسلام حول التسرى بملك اليمين، فقد سبق أن ذكرنا أن الأَمَة حينما تكون مملوكة للمسلم يجوز لمالكها أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فإذا ولدت له ولد أصبحت فى نظر الشرع «أم الولد»، وفى هذه الحالة يحرم على السيد أن يبيعها، وإذا مات ولم يعتقها فى حياته فإنها تصبح حرة بعد مماته مباشرة وكذلك يحق لها أن تطالب بحريتها بنظام المكاتبة، وتصبح على مقتضاه حرة طليقة.

إذن فالإسلام حين أباح للسيد نظام الجوارى أراد من وراء ذلك الإحسان إليهن بالمعاملة، وتحريرهن من الإسترقاق، وأراد أيضا تخليصهن من التشرد والبغاء بينما كانت أسيرات الحرب فى الأنظمة الاجتماعية غير الإسلام، يهوين إلى حمأة الرذيلة، ومستنقع الفاحشة بحكم أنه لا عائل لهن، ولأن سادتهن لا يشعرون نحوهن بنخوة العرض، وحمية الشرف. بل كانوا يشغِّلون الأسيرات بعد استرقاقهن بمهنة الخنا والزنا ويتكسبون من ورائهن بهذه التجارة القذرة، تجارة الأعراض وانتهاك الحرمات!!.

لكن الإسلام العظيم المتحضر لم يقبل البغاء، ولم يسلك مع الإماء هذا المسلك القذر، بل حرص على سمعتهن وأخلاقهن، كما حرص على

نظافة المجتمع من دنس الزنا، وتفشى الفاحشة والإباحة، فما وجد بدا سوى أن يقصر هؤلاء الجوارى على سيدهن فقط، عليه إطعامهن وكسوتهن وحفظهن من الجريمة وإرضاء حاجاتهن الجنسية وهو بالتالى يقضى منهن حاجته، هذا عدا عن حسن المعاملة التى يلقينها حتى إذا أحسسن من الداخل بحاجتهن إلى الحرية طالبن أسيادهن بمقتضى نظام المكاتبة الذى شرعه الإسلام، وإذا بقيت عنده وحملت أصبحت «أم الولد» وهى فى طريقها إلى التحرر، بل أصبحت بمثابة الزوجة بما تلقاه من حقوق وتكريم. فالإسلام إذن أباح للموالى أن يعاشروا من ملكت أيمانهم ليكون ذلك وسيلة إلى تحرير العبيد وعتق الرقاب، وقد استغل الإسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق وإشاعة الحرية بين الناس ولكى يتحقق هذا الغرض الإنسانى النبيل، على أتم صورة وأكمل وجه، أجاز الإسلام أن يتسرى السيد بجواريه بدون تقيد بعقد ولا عدد، فلم يقيده بتعاقد ولا إيجاب ولا قبول، لأنه وسيلة تؤدى إلى حرية الجارية، وحرية جميع نسلها إلى يوم القيامة، ولا يصح أن تتوقف على رأيها ولا على قبولها. بل ينبغى أن تذلل سبلها أو تنتهز بمجرد إقدام السيد عليها.

وعدم تقيده بعدد كذلك لما هو واضح ومعلوم، أن وسيلة تؤدى إلى حرية الجوارى واتصال نسبهن بالسيد وحرية جميع نسلهن إلى يوم القيامة ،لا يصح أن تقيد بعدد، لأن تقييدها بذلك معناه تقييد منافذ الحرية، والإبقاء على روافد الرق، بل إنه مما يتسق مع الغرض النبيل الذى يرمى إليه الإسلام ألا تدخر وسيلة لإغراء الموالى باتخاذ السرارى وللإكثار من عددهم لتشمل نعمة الحرية أكبر عدد ممكن، وليقضى على الرق فى أقصر وقت مستطاع.

ومن هذا يتبين فساد ما وجهه الفرنجة ونحوهم إلى نظام التسرى فى

الإسلام من مآخذ، وتظهر لنا الأغراض الإنسانية السامية النبيلة التى قصد إليها الإسلام إذ أباح هذا النظام وإذ توسع فى إباحته، فلم يقيده بعقد ولا عدد.

وإن الذين يعترضون على هذه الأحكام بكل جراءة ظنا منهم أنها من مخترعات المشايخ المحترفين، كاذبون، لأن هذه أحكام رب العالمين، فى قرآنه المبين، لحكمة يعلمها الحكيم العليم، وكل الذى نفعله أننا نبحث عن المقصود من وراء هذه الإباحة، وما هى الصور المقررة فى الشريعة للإنتفاع بها؟[1].

●●●●●

(١) راجع هذه القضية بتوسع فى كتابنا «سماحة الإسلام».

من أصحاب هذه الصفات

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(١).

والفهم الخاطئ يتمثل فى أن فهمت هذه الآيات فى أناس من العصاة والمجرمين، ممن يأتون الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم يخافون الله عز وجل بسبب ذلك، وليس هذا هو حال المؤمن!!.

والفهم الصحيح أن الآيات تحدثنا عن صنف راقى من أهل الإيمان أو أهل الإحسان، فهم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصرى: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمنا.

وهم أيضا يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية، فما كان منها أمرا فهو مما يحبونه ويرضونه، وإن كان نهيا فهو مما يكرهونه ويأبونه، وإن كان خيرا فهو حق، ثم هم بربهم لا يشركون، ولا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه بكل صور التوحيد، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يتخذ صاحبه ولا ولدا، وأنه لا نظير له ولا كفء له، ولا شبيه ولا مثيل.

ثم هم يعملون الأعمال الصالحة وهم على وجل من الله، وخوف من عدم قبولها، ويعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قصروا فى القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الاشفاق والاحتياط، ومصداق ذلك، ما رواه الإمام أحمد عن عائشة

(١) سورة المؤمنون ٥٧ـ ٦١.

رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله: **﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...﴾** هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل»[١].

وفى رواية الترمذى وابن أبى حاتم بنحوه، وقال: لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم»[٢] وهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات الإيمانية **﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾** فجعلهم من السابقين[٣]، فاللهم اجعلنا منهم، وارزقنا الخوف والوجل منك، والذل لك، والعزة بك.

●●●●●

(١) أخرجه الترمذى فى التفسير (٣١٧٥) وابن ماجه فى الزهد (٤١٩٨) وأحمد (٦/ ١٥٩) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذى فى التفسير (٣١٧٥) وصححه الألبانى فى السلسة الصحيحة برقم (١٦٢) وأخرجه أحمد (٦/ ٢٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٤٨ بتصرف

آيات مظلومة من سورة النور

(هل حدود الله قاسية؟)

١ - قال تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

والفهم الخاطئ فى شبهة أعداء الإسلام حول الحدود، وهنا جاء الحديث عن حد الزنا وحد القذف فقالوا: لماذا هذه القسوة فى الحدود، وربما أبلغوا فى الإساءة فقالوا: ما هذه الوحشية والهمجية؟

والشبهة الأخرى فى فهم الآية الثانية أو عدم فهمها على وجهها الصحيح، حتى ظنوا أنه يحرم نكاح الزانية مطلقًا؟ ومنهم من يسأل عن معناها وكيف لا ينكح الزانى إلا زانية أو مشركة، والعكس!!

ثم نشرع فى الرد على تلك الشبهة فنقول - بادئ ذى بدء - إن الذى شرع هذه الحدود إنما هو الله تعالى، والذى يعترض على الحدود إنما يعترض على الله الذى حدها وفرضها، ويرفض حكمه، ويرد قوله، وأى كفرٍ أبلغ من هذا؟ وأى اساءة أدب أبعد من ذلك؟

وأى قسوة فى الحدود؟ والذى حدها هو الذى خلق فعلم، فحد وحكم.

---

(١) سورة النور: ٢ - ٥.

فهو يعلم سبحانه ما يصلح الخلق **﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[1]!

وهؤلاء الذين أنكروا تلك الحدود وعطلوا الشريعة، هل وجدوا الرحمة والرأفة والراحة فى غيرها، أم أن الأمور ازدادت همجية وقسوة ووحشية، وصار الناس كأنهم فى عالم الغابات، أو كأنهم انقلبوا إلى حيوانات، فترى الناس فى شهوانية حيوانية بغيضة، وقد كثر الزنا وانتشر الوباء وعم البلاء، فى ظل تعطيل شرع رب الأرض والسماء.

وكأن الذى يعترض على حدود الله التى سطرها فى قرآنه الكريم يقول: إن هذا القرآن ليس من عند الله، وإذا كان من عنده فهو لا يدرى ما هى مصلحتنا، ولا يشرع مع ما يتفق مع أحوالنا.!!.

وإن شرع الله ليس بالحدود وحدها، بل الحدود تأتى فى آخرها، حفاظا على بنيان الإسلام المتكامل، وحارسة لشرع الله القويم، وقد طبقت فى مجتمع هذبه الإيمان واستيقظت فيه الضمائر، وصار يراقب الله تعالى وينفذ أحكامه ولا يتعدى حدوده، ففرضت الحدود فلم تجد أحدا تقام عليه إلا ما ندر، لأن الله تعالى ما فرض الحدود فى الإسلام إلا بعد أن كان المجتمع طاهرا نقيا، ربته العقيدة وهذبته العبادة، وقد تربى على مراقبة الله، ومعرفة حدوده، فجاءت الحدود ولم تجد من تقام عليه إلا فى حالات نادرة، إن حدثت تندر بها الناس لندرتها، وتفكه به الناس لقلتها، لأن المجتمع صار مجتمعا إيمانيا، أما الذين يعترضون على الحدود الآن فلأنهم نظروا إلى واقعية المجتمع وما فيه من همجية وانحطاط وما انتشر فيه من وباء يوجب الحدود.

وكأنهم نظروا إلى الكم الهائل الذى يمارس الزنا مثلا، أو يقع فى القذف، وغير ذلك فرأوا أن المجتمع سيصير مجتمعا مشوها عاطلا ما بين

(١) سورة الملك: ١٤.

مرجوم أو مجلود، أو مقطوع أو غير ذلك.

وعدوا ذلك بالمئات والآلاف، فاستعظموا الحدود واسترهبوها واستفظعوها، ولو أدركوا أن شريعة الله جل وعلا ربت مجتمعا أحيت فيه الضمائر بحيث لا يؤتى بالناس لإقامة الحدود، يدفعون إليها دفعا، وإنما كان الواحد يذهب لإقامة الحد عليه بكامل رغبته وتمام إرادته، وهذه نقطة جوهرية، وفارق كبير.

إنها الضمائر الحية التى جعلت الرجل منهم أو المرأة يتقدم بخطى ثابتة يريد إقامة الحد عليه، لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ورضى الله عنه ماعز، والغامدية، وقد زنيا، وما اعترف عليهما أحد، وإنما جاءا طوع إرادتهما، مراقبة لله عز وجل، واستهانة بعذاب الدنيا، وكل منهما يذهب إلى النبى ﷺ ويعرض عنه، ويرده، ويأبى كل منهما إلا أن يطهره رسول الله ﷺ بإقامة الحد عليه.

وفى السنة المطهرة: جاء ماعز إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله طهرنى، فإنى قد زنيت، فأعرض عنه النبى ﷺ فجاءه من قِبَله، وقال يا رسول الله طهرنى فإنى قد زنيت، حتى فعل ذلك أربع مرات، فقال النبى ﷺ: لعلك لمست أو قبلت أو فخذت؟ قال: بل زنيت، فقال: أتدرى ما الزنا؟ قال. نعم أن يأتى الرجل امرأة فى الحرام كما يأتيها زوجها فى الحلال، فقال النبى ﷺ: أبه جنون؟ قالوا: لا، قال: هل شرب مسكرا؟ فقاموا واشتموا فمه، فقالوا: لا، فأمر به ﷺ فرجم»[1].

وهذه الغامدية قد جاءت للنبى ﷺ، وقالت يا رسول الله طهرنى، فأعرض عنها النبى ﷺ فقالت يا رسول الله: لعلك تردنى كما رددت ماعزا، يا رسول الله طهرنى من الزنا، فلما علم النبى أنها حامل ردها

(١) أخرجه مسلم فى الحدود (١٦٩٥) والبيهقى فى السنن الكبرى (٦/ ٨٣) وعبدالرزاق فى المصنف (١٣٣٤٢) والدار قطنى (٣/ ٩٢).

حتى تضع، فلما وضعت جاءت فقالت يا رسول الله: إنى وضعت فطهرنى، فأمرها ﷺ فقال عودى حتى تفطميه، فعادت وقد جاءت به وفى يده كسرة خبز، فأقام النبى ﷺ عليها الحد، ولما سبها أحد الصحابة، قال ﷺ: لا تسبها، فو الله لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين أو على أهل المدينة لوسعتهم»(١).

فهكذا الإسلام بنى أمة، وربى ضمائر، وأيقظ نفوسا، وأحيى مجتمعا يرضى بحكم الله، ويستسلم لأمره، ويقبل طواعية على حكم ربه، راضية نفسه، مطمئنا قلبه.

إن الإسلام ليس مشتاقا للدماء، وليس حريصا على إقامة الحدود، أيا كانت تلك الحدود، والنبى ﷺ قد وضع قاعدة عريضة «ادرءوا الحدود بالشبهات» فأى شبهة تمنع إقامة الحد وأيضا قاعدة أخرى فى التثبت يقول ﷺ: «لأن يخطئ الإمام فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة».

والحديث يقول: «ادرءوا الحدود بالشبهات، فإذا وجدتم له مخرجًا فخلوا سبيله، ولأن الإمام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة»(٢).

إن الإسلام الذى أوجب الحد على الزانى جلدا أو رجما لابد فيه من واحد من اثنين» أما الاعتراف على نحو ما ذكر عن «ماعز والغامدية»، وأما شهادة أربعة شهود عدول، ويشهدون الواقعة رأى العين، على نحو ما ذكر فى كتب الفقه، الرجل مع المرأة وهو يمارس الفاحشة، وقد شاهدوه كما يكون القلم فى المحبرة أو المرود فى المكحلة، ثم يتطابق

(١) أخرجه مسلم فى الحدود (١٦٩٦) والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ٢٢١ وأحمد (٥/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه الترمذى فى الحدود (١٤٢٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ٢٣٨) والدار قطنى (٣/ ٨٤).

كلام الأربعة، لا يختلف منهم أحد، ومثل هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا افترش رجل امرأة فى حديقة عامة أمام الناس حتى تتوفر كل هذه الشروط، والتى يندر - إن لم نقل - لا يمكن أن تتحقق!

حتى قال البعض: إنما شرع الإسلام حد الزنا إرهابا، لأنه لا يمكن وقوعه بمثل هذه الشروط أى ما لم يكن الإعتراف، فشهادة الشهود بعيدة، وإنما أراد الإسلام الستر، والذى يستقرئ التاريخ يجد أن كل ما أقيم من الحدود كان اعترافا، ويندر ما كان بشهادة الشهود، وإقامة الحد لطهارة المجتمع، وهو آخر العلاج، وإلا فالإسلام حارب الزنا وحرم كل مقدماته وأغلق كل نوافذه، ومنع كل ما يؤدى إليه، وفتح باب الحلال من الزواج ونكاح ملك اليمين، قال تعالى: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾**[١].

وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾**[٢] .

وقد حرص الإسلام على ألا يقام حد إلا بحق، ولما قرر الإسلام حد القذف فى الآية الكريمة **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٣] فكون الإسلام يجعل حد القاذف ثمانين جلدة، ويبطل شهادته، ولا يجعل له مكانة فى المجتمع، محكوما عليه بالفسق، فهذا الحد يبدو فيه صعوبة، ولكن تخيل لولم يشرع الإسلام حد القذف، فكيف يكون حال المجتمع، وقد سلطت الألسنة على الأعراض، واتهم كل واحد الآخر وليس ثمة شيء يردعه، فمن يأمن على عرضه فى المجتمع؟!

---

(١)سورة الإسراء: ٣٢.   (٢) سورة المؤمنون: ٥ ـ٧.   (٣) سورة النور: ٤، ٥.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) كما شرع الله اللعان لمن قذف زوجته.

إن الذى ينظر إلى الحدود ويعلم حكمة الله فيها يرى جمال أحكام الله عز وجل، ولكن الذين يعترضون إنما يبغون أحكاما جاهلية، وهم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٥) لا أحد.

فهذه لمحات وإرشارات سريعة عن الحكمة فى حدين من حدود الله (الزنا والقذف).

وهذا حكم الله الذى علم فحكم، وما أسعد الدنيا إذا عادت إلى شرع الله، وطبقت أحكام الله، فياليت قومى يعلمون.

●●●●●

---

(١)سورة النور: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة المائدة: ٥٠.

«هل يحرم نكاح الزانية»؟

وأما قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) فليس على نحو ما ذهبوا إليه من تحريم نكاح الزانية مطلقا، أو إباحة أن يتزوجها مشرك، وهى مسلمة لكنها زانية، وكذا يقال بالنسبة للزانى، معناه لا يتزوج إلا زانية وتحرم عليه العفيفة، ولا ينكح إلا مشركة مع أنها محرمة ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾(٢) وإنما الآية الكريمة فيها إخبار من الله تعالى بأن الزانى لا يطأ إلا زانية أو مشركة أى لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أى عاصٍ بزناه، أو مشرك لا يعتقد تحريمه.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى الآية: ليس هذا بنكاح، إنما هو الجماع لا يزنى بها إلا زانٍ أو مشرك، وهذا بإسناد صحيح عنه، وقد روى عنه من غير وجه أيضاً، ونحو ذلك عن مجاهد وعكرمة، وسعيد ابن جبير، وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد.

وقوله تعالى ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى تعاطيه والتزوج بالبغايا، أو تزويج العفائف بالرجال الفجار، أو هو أن الله حرم الزنا على المؤمنين، وأما بالنسبة للتزويج، فقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغى ما دامت كذلك حتى تستتاب، وإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) أ.هـ.

---

(١) سورة النور: ٣. (٢) سورة البقرة: ٢٢١.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣، صـ٢٦٢ بتصرف.

ما معنى فعل الشرط؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ من بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

والفهم الخاطئ يتمثل فى سؤال عن الحكمة فى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فهل يفهم منه أنهن إذا لم يردن تحصنا، فإنه يجوز ذلك لهن، ويحق لمولاها أن يكرهها على البغاء؟!

فنقول: إنما يؤتى الإنسان من قبل فهمه البليد، وجهله بأساليب لغة العرب، فهذه الجملة ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ قالوا: خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم له، ونقول بل خرجت مخرج التشنيع على أصحاب ذلك، فالأَمَةُ تريد التحصن وتأبى الزنا، وسيدها يجبرها عليه، بغية عَرَض من الدنيا حقير، لأنه لو وافق أمره رضاها فالأمر فى ظاهره يسير، أما وأنها تبغض ذلك وترفضه، ويصر المولى عليه، ويضربها لترضى، فتلك شناعة ما بعدها شناعة، وجرم فاق حدود الإنسانية، وليس الزنا كالاغتصاب مثلا، والآية الكريمة تبين صورة من صور الجاهلية المتكررة، أن السيد إذا كان له أمة أرسلها تزنى وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك،

وكان سبب نزول الآية الكريمة، فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف، فى شأن «عبد الله بن أبى سلول»، فإنه كان له إماء فكان يكرههن على البغاء طلبا فى خراجهن ورغبة فى أولادهن ورياسة

---

(١) سورة النور: ٣٣.

منه فيما يزعم، ولقد كان يضربهن على ذلك، وإن جارية منهن أقبلت على أبى بكر فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبى ﷺ فأمره بقبضها، فصاح «عبد الله بن أبى»، من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا، وإن كانت الآية أعم لتكرار مثل ذلك من أمثال ابن سلول[1].

●●●●●

(١) انظر: تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ١١٨، ٢٨٩.

آيات مظلومة فى سورة الفرقان

كيف يحشر الكفار على وجوههم؟

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[(١)].

قالوا: كيف يحشرون على وجوههم؟!

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى يخبر عن سوء حال الكفار فى معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم فى أسوأ الحالات وأقبح الصفات بحيث يحشرون على وجوههم بدلا من أقدامهم، ولكن كيف؟

جاء فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟

فقال: إن الذى أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة[(٢)].

وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين[(٣)].

وفى الحديث أيضا الذى رواه الإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد قال: قام أبو ذر فقال يا بنى غفار، قولوا ولا تحلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج، فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار، فقال قائل منهم: هذان فقد عرفناهما، فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: «يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى

---

(١) سورة الفرقان: ٣٤.

(٢) أخرجه البخارى فى التفسير (٤٧٦٠) ومسلم فى المنافقين (٢٨٠٦) وأحمد (٢/ ٣٥٤).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٣١٨ بتصرف.

لا يبقى ظهر، حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها»[(١)].

وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [(٢)].

أي عميا لا يبصرون، وبكما لا ينطقون، وصما لا يسمعون، وهذا يكون فى حال دون حال، جزاء لهم كما كانوا فى الدنيا بكما وصما عن الحق فجوزا فى محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه[(٣)].

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[(٤)].

●●●●●

---

(١) أخرجه النسائى فى الجنائز (٢٠٨٥) وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/ ٧٣٩) والهندى فى الكنز (٣٨٩٣٢).

(٢) سورة الإسراء: ٩٧.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٦٥ بتصرف.

(٤) سورة الإسراء: ٩٨.

آيات مظلومة فى سورة الشعراء

ما هى خطيئة إبراهيم؟

قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام ودعائه: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(١).

والفهم الخاطئ حول معنى خطيئة إبراهيم عليه السلام، ما هى؟ وكيف تقع من إبراهيم عليه السلام وهو المعصوم؟!

والحق أننا لا نعرف لإبراهيم خطيئة، والذى نعلمه أن الله قد اتخذه خليلا، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به، كما قال: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢).

كذلك قال عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣).

إذا فطلبه من الله أن يغفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن، وإنما هى ما يستشعره فى نفسه من قصور فى تفانيه فى الله، وأداء رسالته، نظراً لمكانته السامية، ومنزلته الرفيعة.

وأما ما ورد بشأن ما سمى بكذبات إبراهيم عليه السلام، فقد علمت أنها ليست من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله، حاشا وكلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعارض فى الكلام لمقصد

(١) سورة الشعراء: ٨٢. (٢) سورة البقرة: ١٣٠.
(٣) سورة النحل: ١٢٠ ـ ١٢٢.

شرعى دينى، كما جاء فى الحديث «إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب»[1] وكما جاء فى الحديث أيضا:ـ «كلمات إبراهيم عليه السلام الثلاث التى قال، ما منها كلمة إلا ماحل بها عن دين الله تعالى»[2]. أى دافع بها عن دين الله.

فقول إبراهيم عليه السلام: «بل فعله كبيرهم هذا» قد سبق الكلام عنه فى تفسير الآيات المفهومة خطئا فى سورة الأنبياء، وسنشير إلى قوله ﴿إنى سقيم﴾ وقوله لسارة (إنها أختى) فى موضعه إن شاء الله تعالى.

●●●●●

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (١٠/١٩٩) والقضاعى فى مسند الشهاب (١٠١١) وابن عدى فى الكامل (٣/٩٦).

(٢) رواه ابن حاتم عن أبى سعيد، وقد سبق تخريجه.

آيات مظلومة من سورة النمل

«ما هى هدية «بلقيس» ملكة سبأ»؟

١ - قال تعالى :- على لسان ملكة سبأ - ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (١)

هذا ومن الفهم الخاطئ فى هذه القصة ما ذكر فيها من إسرائيليات، لا تليق بنبى الله سليمان عليه السلام، حيث ذكر كلام عن هدية بلقيس ملكة سبأ لسليمان كله عجائب وغرائب، وقد استغرق صفحات مطولة فى كتب التفسير، وأتعب المفسرون فيه أنفسهم، فمن قائل إنها كانت مائة وصيف ومائة وصيفة أى بالغوا الحسن والجمال، ومن قائل بل كانوا أربعمائة، ويقول آخر: لا بل كانوا ألفا من الجوارى، وألفا من الغلمان، وألف وصيف وألف وصيفة، وقد ألبست الغلمان لباس الجوارى، وألبست الجوارى لباس الغلمان، وقالت لسليمان: إن كنت نبيا كما تقول، ففرق بين الذكور والإناث أو بين الجوارى والغلمان!

وذكروا أنه كان معهم لبنة من ذهب أو علبة، واشْتُرِطَ على سليمان أن يقول ما بداخلها قبل فتحها ... الخ ما ذكروه من التخريف، والظن.

وذكروا فى قصة بناء الصرح العجائب، حيث قالوا مما قالوه: بناه لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل أمامه حوالى تسعين فرسخا من ذهب وفضة، وجمع الإنس فى فرسخ، والجن فى فرسخ، والطير والحشرات كلهم صفوفا صفوفا، وجلس فى مقدمة الصرح إلى أن قدم الرسل من قبل «بلقيس» يحملون الهدية، فلما رأوا هذا الملك والعظمة ألقوا

(١) سورة النمل: ٣٥.

بهديتهم، وعادوا يحدثون بلقيس عما رأوا.

وجاءت بلقيس، و ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾[١] وهنا ذكروا بقية خرافاتهم، قالوا لما كشفت بلقيس عن ساقيها ورأى جمال ساقيها، غير أنها كانت مشعرة، لها شعر كشعر الجديان، فحزن سليمان واهتم لذلك فأشاروا عليه بحلقه بالموسى، فقالت بلقيس: لا والله ما يجرى عليه الموسى، ثم استدعى الجن الذين حلوا له المشكلة بأن صنعوا له النورة التى أزالوا بها شعر بلقيس، ليتزوجها سليمان ويتمتع بها وبجمالها!![٢].

أنها حكايات تشبه أفلام اليهود فى عصرنا الحاضر، وخرافات تحاكى أساطير اليونان فى العصر الغابر. ويكفى فى فضح الباطل عرضه! ولقد أردنا الإشارة إلى أن هذا من الإسرائيليات التى لا يجوز نشرها، ولا ذكرها إلا مع التنبيه عليه، ولها بقية أخرى تأتى فى مكانها إن شاء الله.

●●●●●

---

(١) سورة النمل: ٤٤.

(٢) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير د/محمد بن محمد شبهة صـ ٣٠٠ (بتصرف).

«من الذى عنده علم من الكتاب»؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

والفهم الخاطئ يتمثل فيما ذهب إليه جمهرة من المتصوفة ومن على شاكلتهم مذاهب حول معنى ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فراحوا يقولون: هو «الخضر» صاحب الحقيقة، والعلم اللدنى، والذى هو ـ عندهم ـ حى يرزق.

وقالوا: هو أصف بن برخياء، وكان صدِّيقًا يعلم الاسم الأعظم، وقالوا: كان مؤمنا من الإنس، واسمه (آصف) أو هو آصف كاتب سليمان، كما قيل كان اسمه أسطوم، أو بلخيا، أو ذو النور، وغير ذلك. وهذا المعنى الذى ذهبوا إليه أرادوا به الانتصار لما يعتقدونه فى الحقيقة التى تخالف الشريعة وما توارثوه من خرافات لمشايخهم ظنوها من قبيل الكرامات للأولياء.

ولماذا نذهب بعيدا ونحن مع نبى من أنبياء الله أيده الله بالمعجزات الباهرة، وأعطاه من الملك مالم يعطه لأحد قبله، ولا يكون لأحد بعده، وسخر له جنودا من الجن والإنس والطير فهم يوزعون، أفغريب على من كان هذا شأنه أن تكون له معجزة يسيرة مثل نقل عرش ملكة سبأ «بلقيس» إليه فى لمح البصر، وهو الذى سخرت له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد، وهو الذى يأتيه الملك من السماء إلى الأرض فيما لا زمن، فما

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

الغرابة فى ذلك؟

وقد ثبت أن سليمان عليه السلام دعا ربه أن يأتيه بعرش بلقيس، وكان فى اليمن، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس، فإذا به لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه،

وأغلب الظن ـ والله أعلم ـ أن الذى حمله هو جبريل عليه السلام الذى عنده علم من الكتاب، وقد منحه الله القوة فهو ﴿**شديد القوى**﴾(١) وهو المشار إليه فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾(٢).

●●●●●

(١) سورة النجم: ٥.

(٢) سورة الرعد: ٤٣.

آيات مظلومة من سورة القصص

هل قتل موسى نفسا بغير حق؟

١ ـ قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١].

والفهم الخاطئ تمثل فى شبهة حول موسى عليه السلام أنه قتل نفسًا بغير حق، مما يتنافى مع العصمة. والجواب على ذلك.

أن موسى عليه السلام لم يقتل، وإنما أراد أن يفض النزاع، فوكز المعتدى وكزة كانت القاضية عليه، فندم على فعلته وعدها من عمل الشيطان واستغفر ربه عما ارتكب وتضرع إليه أن يتوب عليه، وألا يجعله مساعدا للمجرمين، فغفر له وتاب عليه.

والوكز فى اللغة هو الضرب بجمع الكف، فقد وكزه موسى ولم يرد قتله.

هذا مع العلم بأن موسى لم يكن نبيا ولا رسولا حين وكز خصمه، ثم هو من جنس القتل الخطأ، كما أن الذى قتله موسى لم يكن مؤمنا بل كان كافرا مشركا بالله العظيم، ولكفره كان مستحقا للقتل، فماذا فى هذا مما يتنافى مع العصمة؟!.

●●●●●

---

(١) سورة القصص: ١٥، ١٦.

(٢) حقيقة الإيمان جـ٢ صـ١٢٥، ١٢٦

ما معنى (ولا تنس نصيبك من الدنيا)؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١) .

والفهم الخاطئ تمثل فى قوم استشهدوا بجزء من الآية وهو ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وتركوا بقيتها، فنسوا نصيبهم من الآخرة، وكلما وعظت أحدهم أو ذكَّرت الآخر وقد ترك طاعة أو وقع فى معصية ـ قال لك: ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾!

وقد نسى نصيبه من الآخرة تماما، أو قال لك «ساعة لقلبك وساعة لربك»!.

فى الوقت الذى جعل كل الساعات لقلبه، وجعلها فى حرام لا فى طاعة الله ولا مباح أو حلال!!

والفهم الصحيح للآية ببساطة ـ هو تلاوة الآية كاملة، مع تدبرها، دون أن يكون فى النفس غرض، أو فى القلب مرض، يتضح لك أنه مطلوب من المسلم أن تكون الآخرة أكبر همه، ومبلغ علمه ومراده، وأن كل ما آتاه الله وأنعم عليه به يجب أن يقدمه أمامه فى آخرته، ويدخره فهو الباقى، وفى ظل انهماكه بالآخرة وبأعمالها والإجتهاد فى ذلك بكل ما يستطيع، لا ينس نصيبه من الدنيا فى صورة لقيمات يأكلها، أو تمرات يتناولها، أو شربة ماء بارد يشربها، وكذا زوجة يداعبها، وأولادا يلاعبها، ونحو قوس برميها، وفرس يركبها، وأمثال ذلك من المباحات فهذا نصيبه فى الدنيا، والذى يجب أن يحسن فيه، وأن يتجنب كل صور

(١) سور القصص: ٧٧.

الفساد، فقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ تقال لمن زهد فى الدنيا فأراد ترك ما فيها، وحرم على نفسه طيباتها، أو كان على شاكلة النفر الذين سألوا عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا عنه كأنهم تقالوها، ثم قالوا: ولم لا؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام أبدا، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء أبدا، فلما سمع النبى ﷺ بما قالوا، جمع لذلك الناس وعلمهم درسا فى وسطية الإسلام، وعدم تحريم الطيبات، والاعتدال فى كل شىء فقال ﷺ: «أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[١].

﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ تقال لأبى الدرداء رضى الله عنه وأمثاله، وقد زاره أخوه سلمان فرأى زوجته وهى بثياب رثة ـ تحاكى حال أرملة فى عدة وفاة زوجها ـ وسألها عن حالها، ولماذا هى بتلك الحال؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء لا يريد من الدنيا شيئا!

فلما خرج أبو الدرداء إلى سلمان ورحب به، وقد جاءه بطبق تمر فقاله له: كل، فقال سلمان: وأنت؟ قال: أصبحت صائما، فقال سلمان: لا أكل حتى تأكل معى، فأفطر معه، فلما كان الليل، وافترش أبو الدرداء فراشا لسلمان لينام، وقام أبو الدرداء يقوم من الليل، فقال له سلمان: نم يا أبا الدرداء فنام، ثم قام بعدها فأراد أن يصلى، فقال له سلمان: نم يا أبا الدرداء، حتى كان الثلث الأخير من الليل، وأراد أبو الدرداء أن يقوم، فقال له سلمان: الآن قم وأقوم معك، ثم قال سلمان: يا أبا الدرداء: «إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه» فلما صلى

(١) أخرجه البخارى فى النكاح (٥٠٦٣) ومسلم فى النكاح (١٤٠١) والنسائى فى النكاح (٣٢١٧).

أبو الدرداء مع رسول الله ﷺ الفجر، أخبره بما فعل سلمان وبما قال، فقال النبى ﷺ: صدق سلمان..»[١].

إن قوله ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ تقال لهؤلاء وأمثالهم،

ولا تقال لرجل أخذ يجمع الدنيا من حلالها وحرامها، ولا يقول رجل قصر فى طاعة الله، وترك الصلاة، فيقال له: قم للصلاة، فيأبى أن يترك عمله أو يغلق حانوته، أو نحوه وهو يقول: ولا تنس نصيبك من الدنيا. فهذا نقول له: فلمّ نسيت نصيبك من الآخرة؟

وهذا وأمثاله الذين نسوا الآخرة يذكرون بأول الآية ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ إن الإسلام جمع لنا بين الدنيا والآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢] فهى ليست على النقيض من الآخرة على نحو ما صورها اليهود والنصارى بل من رحمة الله أنه جمع لنا بينهما، على نحو ما فى هذه الآية وغيرها، والدعاء القرآنى السابق، ولكن نعلم أن الدنيا لها قدرها، والآخرة لها قدرها، فنعمل لكل منهما على قدرها، وكما قيل: لئن كانت الدنيا ذهبا فانيا، والآخرة خزفا باقيا، لآثر الناس الخزف الباقى على الذهب الفانى، فكيف والدنيا هى الخزف الفانى، والآخرة هى الذهب الباقى، بل الدنيا أقل من أن تكون خزفًا، والآخرة أجل من أن تكون ذهبًا، ولكنه ضرب المثل. ولذلك فالدنيا لا تحتاج منا أكثر من المشى وأخذ الأسباب لتحصيل الرزق، مع النجاة والبعد عن الهلكة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٣].

وأما الآخرة فهى على قدرها ـ تحتاج إلى سعى وسرعة وسبق واستباق وتنافس وفرار أيضا.

---

(١) رواه البخارى برقم ١٩٦٨، ورقم ٦١٣٩.
(٢) سورة البقرة: ٢٠١.
(٣) سورة الملك: ١٥.

أما السعى، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١) .

والسرعة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

والسبق: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(٣) .

والاستباق: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٤) .

والتنافس: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٥) .

ويصل الأمر إلى أوج عظمته: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(٦) . . . . .

قال ابن كثير رحمه الله: «إذ قال له قومه ـ والكلام عن قارون كما هو معلوم ـ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، أى وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والإرشاد لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال، إن الله لا يحب الفرحين، قال ابن عباس: يعنى المرحين، وقال مجاهد: يعنى الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وقوله ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب فى الدنيا والآخرة ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك

---

(١) سورة الجمعة: ٩. (٢) سورة آل عمران: ١٣٣. (٣) سورة الحديد: ٢١.
(٤) سورة المائدة: ٤٨. (٥) سورة المطففين: ٢٦ (٦) سورة الذاريات: ٥٠.

عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذى حق حقه، ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، ﴿**وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ**﴾ أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض وتسىء إلى خلق الله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[1].

●●●●●

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٣٩٩.

من سورة العنكبوت
(هل فى القرآن تناقض؟)

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[(١)].

والفهم الخاطئ هو السؤال عن قوله تعالى ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾

مع قوله تعالى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فكيف يحملون، وفى الوقت نفسه: وما هم بحاملين؟

ثم كيف يتفق قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ مع قوله ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؟!

والجواب، نقول: ليس هناك ثمة تعارض فى الحالتين.

فالنبسة للجزئية الأولى:- يخبر الله تعالى عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُم﴾ أى وآثامكم إن كانت لكم آثام فى ذلك علينا، وفى رقابنا، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك فى رقبتى، فقال الله تعالى تكذيبا لهم ﴿ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أى فيما قالوه أنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، كما قال تعالى ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ . كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ . تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾[(٣)].

(١) سورة العنكبوت: ١٢، ١٣. (٢) سورة فاطر: ١٨. (٣) سورة المعارج: ١٠ ـ ١٨.

إذن فهم على الحقيقة لا يحملون شيئا من أوزار الضالين أو من حاولوا إضلالهم، ولا يخففون عنهم.

وفى نفس الوقت - وهنا يأتى الكلام عن الجزئية الثانية - لما كانوا هم ضلوا فى أنفسهم، وقاموا بإضلال غيرهم، فلم يستووا فى ميزان الله بمن ضل فقط، فالذى يضل فقط عليه وزره، وأما الذى ضل وأضل، فهذا يحمل وزره أى وزر ضلاله، ثم يحمل كفلا من إضلال غيره، وهو الذى قاله الله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِم﴾ فهو إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزار أخر، بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا، على نحو ما بيناه عند قوله تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[(١)]

وفى الصحيح قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا»[(٢)].

وفى الصحيح أيضًا «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»[(٣)].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أى يكذبون ويختلقون من البهتان.

هذا ومن صور ومشاهد يوم القيامة لحمل أثقال الغير مع أثقال النفس ما جاء فى الحديث عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به، ثم قال: إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول:

(١) سورة النحل: ٢٥.

(٢) رواه مسلم: كتاب العلم. باب من سن سنة حسنة أو سيئة (٢٦٧٤).

(٣) رواه البخارى (٣٠٨٨).

وعزتى وجلالى لا يجوزنى اليوم ظلم، ثم يناد مناد فيقول: أين فلان ابن فلان؟ فيأتى يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدى الرحمن عز وجل: ثم يأمر المنادى فينادى من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان، فهلم فيقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدى الرحمن، فيقول الرحمن : اقضوا عن عبدى، فيقولون: كيف نقضى عنه؟ فيقول: خذوا لهم من حسناته، فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة، وقد بقى من أصحاب الظلامات، فيقول: اقضوا عن عبدى، فيقولون: لم يبق له حسنة، فيقول: خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه، ثم فزع النبى ﷺ بهذه الآية الكريمة: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[١].

وهذا الحديث له شاهد فى الصحيح من غير هذا الوجه «إن الرجل ليأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا، وأخذ من عرض هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه».

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٠٦ بتصرف، والحديث صحيح بطرقه. أخرجه ابن كثير من طريق أبى حاتم (٣/ ٥٣٤) من حديث أبى أمامة بسند حسن، وللحديث شاهد صحيح فى صحيح مسلم فى كتاب البر والصلة والأدب باب تحريم الظلم برقم (٣٥٨١).

من سورة الروم

«هل الموتى يسمعون؟»

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[١].

والشبهة: كيف يقول الله تعالى ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ...﴾ والنبى ﷺ يقول عنهم «ما أنتم بأسمع منهم».

ففى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ وقف على قليب بدر - بئر - فنادى عليهم بعد أن قُتل المشركون، فقال: يا عتبة ويا شيبة ويا فلان ويا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فقالوا يا رسول الله: أيسمعون؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم، وفى رواية: أنهم ليسمعون كما تسمعون»[٢] قالوا: فكيف يتفق هذا مع ذاك، ومع قول الله تعالى أيضًا﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾[٣].

والإجابة على هذا الفهم الخاطئ: بأن الآية قد جاءت على سبيل التشبيه والكناية، فقد شبهت الكافرين أو المشركين بالموتى أهل القبور، فكما لا يرجى من الموتى شىء فلا يرجى من الكفار شىء، وإن كنت - يا محمد - إنما تريد هدايتهم، ولكنهم صموا آذانهم عن الحق، وأغمضوا أعينهم عن الهدى، فلا يريدون رؤية هدى، ولا سماع حق، ولا معرفة السبيل، فهم كالأموات، تحدثهم فلا يسمعون، لذلك شبههم بالأموات فى عدم استجابتهم، وكأنهم صاروا من أهل القبور.

إذن فالحديث صحيح، ولا تعارض بينه وبين الآية، لأنه بين أن

---

(١) سورة الروم: ٥٢.

(٢) رواه البخارى. كتاب الجنائز. باب ما جاء فى عذاب القبر برقم (١٣٧٠، ١٣٧١)، ومسلم كتاب الجنائز. باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه برقم (٩٣٢).

(٣) سورة فاطر: ٢٢.

الموتى يسمعون، لكنهم لا يستطيعون جوابا، أو لا نسمع نحن الأحياء جوابهم.

وأما الآية فقد جاءت على سبيل التشبيه وهذا فى القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿**وما يستوى الأعمى والبصير**﴾ - أى لا يستوى الكافر والمؤمن - ﴿**ولا الظلمات ولا النور**﴾ - أى الكفر والإيمان - ﴿**ولا الظل ولا الحرور**﴾ - أى الجنة والنار - ﴿**وما يستوى الأحياء ولا الأموات**﴾ - أى أهل الإيمان وأهل الكفر، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿**إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من من فى القبور**﴾[١].

وأما أهل القبور - على الحقيقة - فإنهم يسمعون ويحسون، ويتنعمون ويعذبون، وذلك أمر قطعى متواتر، فأهل الإيمان ينعمون ومثالهم الشهداء ﴿**ولا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتلُوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ من فَضْلِه وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٢] وأهل الكفار يعذبون، ومثالهم قوم فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[٣] فأناس هذا حالهم يسمعون، وأما الكفار فقد صموا آذانهم فهم لا يسمعون».

---

(١) سورة فاطر: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ , ١٧٠.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

من سورة لقمان

«هل فى القرآن هفوات؟»

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(١).

الفهم الخاطئ تمثل فى شبهة زج بها المستشرقون فقالوا: كيف أوصى الله ببر الوالدين، ثم خصص الحديث عن الأم دون الأب، فلماذا؟ وقد تحدثت الآية عن حمل ورضاع وفطام، فلمن توجه الحديث، ألجنين لا يعقل، أم تخاطب طفلا لا يفهم، أم تخاطب إنسانا بعد أن يكبر وهو لا يذكر عن حمله وولادته ورضاعته شيئا، فما الحكمة إذن؟!

والإجابة على ذلك، نقول: إن الله عز وجل أمر ببر الوالدين، وذلك متكرر فى القرآن، وهنا خص الأم وحدها بالتفصيل فذكر أمورا غير مرئية وغير منظورة فى حياة الإنسان، إذ الواحد منا لا يذكر مدة حمله، ولا يذكر تعب أمه عند ولادته، ولا يذكر فترة رضاعته، ولكنه إذا تجاوز هذه المراحل وبدأ يمشى ويتكلم واحتاج إلى هدية ومصروف ونحو ذلك، وجد الأب يلبى له رغباته، وإذا احتاج إلى مطعم أو مشرب أو ملبس، فالأب هو الذى يشترى له، ويريد سفرا وفسحة، ونفقة، فيجد الأب هو صاحب كل ذلك، فضلا عن تعهده وتربيته، فهذه جوانب منظورة ومرئية فى حياة الأولاد، وهذا قد يترتب عليه أن الأبناء سيذكرون كل فضل للأب، ويعظم تعلقهم بالأب دون الأم، ويزيد حبهم لأبيهم عن أمهم، وهذا معناه أن الأب سيصير كل شىء فى حياة الأبناء، وأما دور الأم فقد صار نسيا منسيا فى حياة الأولاد، ما يذكرون حملا ولا وضعا ولا رضاعة، وهذه الثلاثة اختصت بها الأم

---

(١) سورة لقمان: ١٤.

دون الأب، فضلا عن مشاركة الأب فى تربية الأبناء، وقد تعبت وسهرت، لكن الأبناء لا يذكرون ذلك. فيجعلون للأب حقا أكثر من الأم، فى الوقت الذى يجب أن يكون حق الأم أكبر من حق الأب، ثلاثة أضعاف، على نحو ما جاء فى الحديث وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتى، فقال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك؟ قال ثم من؟ قال: ثم أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك»[1] ولذلك أراد الله تعالى أن يذكرهم بذلك، فذكرهم بأهم ما فعلته الأم فقال هنا ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ وقال فى سورة الأحقاف ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾[2].

فهذا الجانب غير المنظور يجب أن يتذكره الأولاد دائما، ولذلك سطره القرآن خاصة، وأما دور الأب الذى ينفق ويربى، فهذا جانب مرئى فى حياة الأولاد، فإذا ذكر به القرآن كان من باب تحصيل الحاصل، وكان كالتكرار الذى يجوز الاستغناء عنه، وربما يتنافى هذا مع بلاغة القرآن، لأن تفصيل القول فيما تكفى الدلالة عليه أو الإشارة إليه، لا يتفق مع البلاغة، والبلاغة الإيجاز، وتحصيل الحاصل تركه أولى.

فلذلك ذكر القرآن بالجانب غير المرئى بالنسبة للأم، ولم يذكره بالجانب المرئى الذى يدركه ويراه، فإن قيل: فكيف يذكره به، وهو لا يذكره ولا يعيه، طفلا كان أو كبيرا؟

نقول: من أجل أن يراه على الغير، فيشاهده فى حياة الناس. فيرى كيف تتعب الأم إذا حملت وتعانى إذا وضعت، وتسهر إذا أرضعت،

---

(١) رواه البخارى. كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وإنها أحق به (٢٥٤٨)، والترمذى بنحوه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى بر الوالدين.

(٢) سورة الأحقاف: ١٥.

فيدرك مدى هذا التعب الذى كان لحق أمه يوم أن حملته ووضعته وأرضعته، فيدرك حقها، ويحسن إليها، ويقوم بواجبها، ويقدرها حق قدرها، ويعلم أن حقها مضاعف على حق أبيه، وهذا ما أراده الله جل وعلا من خلال هذا السياق وبهذا الأسلوب الذى اقتضته الحكمة الإلهية، فما أعظم القرآن[١].

(١) هذا كلام مقتبس من كلام الشيخ الشعراوى فى هذه الجزئية.

من سورة السجدة

«ما مقدار اليوم عند الله؟»

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(١).

وقد قال أيضا: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٢).

قال المستشرقون: أليس هذا من التناقض فى القرآن؟!

والجواب بأنه ليس هناك ثمة تعارض أو تناقض،

فإن الآية الأولى تحدثنا عن نزول الأمر من السماء إلى الأرض عن طريق الملك أنه يستغرق مسيرة خمسمائة عام أى فى نزوله، وخمسمائة عام فى صعوده، وذلك مما تعدون، ومع ذلك فهو يقطعها فى طرفة عين، ولهذا قال تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مما تعدون. ذلك عالم الغيب والشهادة هو العزيز الرحيم﴾ فهو المدبر لهذه الأمور، الذى هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها، وهو العزيز الذى قد عز كل شىء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب، الرحيم بعبادة المؤمنين، فهو عزيز فى رحمته، رحيم فى عزته، وهذا هو الكمال(٣).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(٤). أى فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأن لا يفوته شىء وإن أجل وأنظر وأملى..»(٥).

---

(١) سورة السجدة: ٥.
(٢) سورة المعارج: ٤.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٥٧ بتصرف.
(٤) سورة الحج: ٤٧.
(٥) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٢٨ بتصرف.

وأما قوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وأنه من ياقوتة حمراء. كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش.

والقول الثانى: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة. حكاه عن مجاهد.

وعن عكرمة قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة، لا يدرى أحد كم مضى ولا كم بقى إلا الله عز وجل.

والقول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو قول غريب جدا، حكاه محمد بن كعب.

والقول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة، مذكور عن ابن عباس بإسناد صحيح، وكذا الضحاك وابن زيد فقال ابن عباس: هذا يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة» وقد وردت أحاديث فى معنى ذلك، ومنها حديث منع الزكاة «. . . حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» وهو متفق عليه[1]، وفيما رواه الإمام أحمد عن أبى سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا» إلا أنه ضعيف لضعف دراج وشيخه أبى الهيثم، والله أعلم»[2].

(١) رواه البخارى. كتاب الزكاة. باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٢)، ومسلم. كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٤١٨، ٤١٩.

من سورة الأحزاب

هل أخفى النبى ﷺ شيئا؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(١).

والفهم الخاطئ هو ما ذكرته الإسرائيليات، وما لم يصح من الآثار حول هذه الآيات، وما ذكر فى قصة زواج النبى ﷺ «بزينب بنت جحش» رضى الله عنها ـ بعد زواجها من«زيد بن حارثة» رضى الله عنه،

لقد شرقت الإسرائيليات فى ذلك وغربت، واستغلها المستشرقون أسوأ استغلال، ونسجوا منها ما يشبه الأساطير القديمة، أو الأفلام الحديثة.

فزعموا أن النبى ﷺ أراد أن يزور زيدًا بن حارثة ـ الذى كان مولاه وصار ابنه المتبنى، فلما ذهب لزيارته فلم يجده، وقد كشفت الريح ستار البيت عن زينب، فرآها النبى ﷺ بثياب نومها أو زينتها!! فسر بها فوقع حبها فى قلبه، فرجع يقول سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب!! فأخبرت زينب زيدا بما حدث، وما قاله النبى ﷺ، فذهب زيد لرسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله، لقد زرتنى، ولعلك رأيت زينب فأعجبتك، أفتتزوجها يا رسول الله؟

فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله!!

فزعموا أن حب النبى ﷺ لها كان واضحا عليه وأراد أن يخفيه بقوله

(١) سورة الأحزاب: ٣٧، ٣٨.

لزيد: أمسك عليك زوجك واتق الله، فى الوقت الذى أحب زينب وتمنى لو طلقها زيد ليتزوجها!! فسبحان الله العظيم، هكذا تقول الإسرائيليات، وهكذا يسطر المستشرقون هذا الكلام، وقد أبعدوا أكثر من هذا الهراء، بما لا يتفق مع نبى ولا صديق ولا صالح من الصالحين!!.

وهى قصة ملفقة، مليئة بالكذب، مهلهلة فى سياقها، يبدو فيها التزوير واضحا،

وسؤالنا: هل كان النبى ﷺ يذهب لزيارة أحد أصحابه بمفرده، أو دون وجود المزور؟ وهل كان يتجسس على العورات، أو كان يقف أمام الباب بحيث إذا انكشف الستار رأى ما فى البيت؟

أم أنه هو ﷺ الذى علمنا كيف نستأذن، ونقف ناحية من الباب يمينا أو شمالا؟ وعلمنا أن الاستئذان من أجل النظر، أفيعلمنا ذلك ثم يخالفه ﷺ وينظر؟!!.

نقول: وهل كان النبى ﷺ لم ير زينب من قبل، حتى لما رآها وقع حبها فى قلبه؟

ألم تكن ابنة عمته، وكان يراها قبل نزول آية الحجاب؟ أليس هو الذى زوجها لمولاه زيد بن حارثة، وقد رفضت، فألح عليه النبى ﷺ فى ذلك، حتى نزلت الآية الكريمة **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾**[(١)] فخضعت وانقادت، وسمعت وأطاعت؟!!

وما الذى يمنع النبى ﷺ من زواجها قبل مولاه، لو أرادها لنفسه، حتى ينتظر بعد أن تزوجها زيد، فإذا بها تحلو فى عينيه، ويرغب أن يتزوجها بعد طلاق زيد لها؟!!

وفى أى حديث أو رواية صح أن النبى ﷺ رآها ـ عند زيارته ـ وهى

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

نائمة شبه عارية؟ فهل كانت ستسمع نداء النبى ﷺ وهى لا تزال نائمة، أو لا تجيبه بعدم وجود زوجها وهى عارية، أم هو الكذب على الله والإفتراء على رسوله ﷺ؟!!

ثم نتساءل مرة أخرى: من الذى أمر بتزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة، ليبطل عادة من عادات الجاهلية، إذ كانوا يفرقون ببنى الأحرار والعبيد، ولا ترضى الشريفة القرشية أن تتزوج من عبد من العبيد، وهكذا فعلت زينب حتى نزلت الآية المشار إليها آنفا؟!

ومن الذى أمر النبى ﷺ بأن يتزوج زينب بعد طلاق زيد لها، وانقضاء عدتها؟ من أجل أن يبطل عادة أخرى وهى عادة التبنى، بجعل الابن المتبنى، كالابن فى النسب، يحرم زواج امرأته، وهو يرث أباه بعد وفاته، وسائر الأحكام!!

وهذا زيد يكثر من شكوى زينب التى تعالت عليه بعد الزواج، عند رسول الله ﷺ، والنبى ﷺ يقول له: أمسك عليك زوجك واتق الله، واصبر عليها، حتى أعلمه الله تعالى بأن زيداً سيطلق زينب، وأنك ستتزوجها من أجل ابطال عادة التبنى المنتشرة بين الناس، وأنك أنت ـ لا غيرك ـ الذى ستبطلها عمليا بتنفيذك لأمر الله فى ذلك، فاستحى النبى ﷺ أن يخبر زيدا بذلك، وخشى التصريح به، لما سيترتب عليه، وبما سيقوله المشركون، ويردده الناس من أن محمدا تزوج زوجة ابنه!!

فلما وقع هذا عاتبه ربه، وتولى البيان عنه، وأظهر أنه لا حرج عليه فيما فرض ربه[1].

قال ابن كثير رحمه الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾[2] وهذا هو المقصود، من القصة كاملة، وقد نزلت فى شأن «زيد بن حارثة رضى الله عنه» مولى

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٤٥٥ ـ ٤٦٣ بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب: ٤

النبى ﷺ، كان النبى ﷺ قد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾** كما قال تعالى فى أثناء السورة **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**(١) و وقال ههنا **﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾** يعنى تبنيكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابنا حقيقيا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان. **﴿والله يقول الحق ويهدى السبيل﴾** ولذلك قال تعالى: **﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾**(٢) فكان ناسخًا للأمر الأول فى ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم فى الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر.

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر قال: إن زيداً بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن **﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾** وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى أيضا.

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه فى الخلوة بالمحارم وغير ذلك، فلما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعى، وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه، وقال عز وجل **﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾**(٣)، وقال تبارك وتعالى فى آية المحارم **﴿.. وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾**(٤) احترازا عن زوجة الدعى فإنه ليس من الصلب.

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٠. (٢) سورة الأحزاب: ٥
(٣) سورة الأحزاب: ٣٧. (٤) سورة النساء.

فأما الابن من الرضاعة فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله ﷺ فى الصحيحين: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب».

فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه فى هذه الآية وقد ثبت ذلك عنه ﷺ»[١].

ثم قال ابن كثير رحمه الله أيضا: فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[٢].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب لفتاه «زيد بن حارثة» رضى الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ، «بلى فانكحيه، قالت يا رسول الله أؤمر فى نفسى؟ فبينما هما يتحدثان، أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ. قالت: قد رضيته لى يا رسول الله منكحا، قال رسول الله ﷺ: نعم، قالت: إذا لا أعصى رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسى وفى رواية: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه، فاستنكفت منه، وقالت أنا خير منه حسبا، وكانت امرأة فيها حده، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ....**﴾الآية كلها»[٣].

ثم قال: فى قول الله تعالى ﴿**وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه**﴾ الآية.

يقول تعالى مخبرا عن نبيه ﷺ أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه، وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام، ومتابعة الرسول ﷺ، وأنعمت عليه أى بالعتق من الرق، وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر،

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٦٥ ـ ٤٦٧ بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) رواه البخارى. كتاب التفسير. باب وتخفى فى نفسك ما الله مبديه (٧٤٢٠)، وابن كثير فى التفسير وعزاه إلى أحمد (٣/ ٦٤٣).

حبيبا إلى النبى ﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة: الحب ابن الحب، قالت عائشة رضى الله عنها: ما بعثه رسول الله ﷺ فى سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه» رواه الإمام أحمد.

وقد كان الرسول الله قد زوجه بابنة عمته «زينب بنت جحش الأسدية» رضى الله عنها، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول له ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ قال الله تعالى ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ قال: وقد أورد ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها[١] ـ رحمك الله يا ابن كثير ـ وأصح ما ذكر: أن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد رضى الله عنها ليشكوها إليه، قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك».

فقال قد أخبرتك أنى مزوجكها، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه، أو نحو ذلك.

ورضى الله عن عائشة قالت: لو كتم محمد ﷺ شيئا مما أوحى إلى من كتاب الله تعالى، لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجته وفرغ منها وفارقها وقضت عدتها ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر، حتى إنها رضى الله عنها كانت تفخر

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٨٩ ـ ٤٩١ بتصرف.

على أزواج النبى ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات» وبعد زواجه من زينب نزل الحجاب. وقوله تعالى ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أى إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين فى تزويج مطلقات الأدعياء، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

أى وكان هذا الأمر الذى قد وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضى الله عنها فى علم الله ستصير من أزواج النبى ﷺ، ثم قال الله ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أى فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه «زيد بن حارثة» رضى الله عنه، وقوله تعالى ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ أى هذا حكم الله فى الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشىء وعليهم فى ذلك حرج ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه، فما شاء كان[١].

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٩١ ـ ٥٩٢ بتصرف.

من سورة سبأ

«هل تجوز صناعة التماثيل؟»

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1].

والشاهد: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾

والفهم الخاطئ: زعم قوم أن صناعة التماثيل حلال بهذه الآية الكريمة.

نقول: أما المحاريب فهى أماكن العبادة، وقيل بمعنى القصور،

وأما التماثيل، فقد جاء فى التفسير، أنها الصور، وأنهم كانوا يصنعونها من النحاس، وقيل من الزجاج والطين[2]،

وأيا كانت، فهى كانت مباحة فى عهد سليمان عليه السلام، ولكنها حرمت فى الشريعة الخاتمة، بكل صورة من الصور، فكيف يقول قائل: هى مباحة بالآية؟!

وهذا النبى ﷺ يقول: «لعن الله المصورين»[3].

ويوم القيامة تخرج عنق من النار تتكلم فتقول: إنى وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن أشرك مع الله إلها آخر، وبالمصورين».

ويؤتى بالمصورين يوم القيامة فيقال لهم: انفخوا الروح فيما صورتموه، وما هم بفاعلين» وها هو النبى ﷺ يرسل «على بن أبى طالب» فى مهمة يقول له: يا على: لا تجد تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[4].

وهذا الحكم ينطبق على كل تمثال منحوت أو مجسم أوله ظل وكذا المرسوم.

واختلف فى الصور الحديثة التى يقال عنها «فوتوغرافية» فهى مباحة للضرورة، ومنهى عنها فيما سوى ذلك.

---

(١) سورة سبأ: ١٢، ١٣.　(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٥٢٨ بتصرف.

(٣) رواه البخارى كتاب اللباس. باب من لعن المصور (٥٩٦٢)، ومسلم بنحوه. كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١٠٨).

(٤) رواه مسلم كتاب الجنائز. باب اللحد ونصب اللبن (٩٦٩).

من سورة فاطر

«هل يعذب الإنسان بفعل غيره»

١ ـ قال تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ**﴾[١].

وفى الحديث «إن الميت ليعذب ببكاء الحى عليه»[٢] فكيف يتفق هذا مع ذاك؟

نقول: صدق الله، وصدق رسوله ﷺ، ولا تنافى بين القولين.

أما قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ فهى وإن كانت كذلك، إلا أنها ليست قانونا عاما، أو حكما شاملا، لأنه جاء فى القرآن ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾[٣] وفى الحديث: «يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذ كثر الخبث»[٤].

فيهلك الصالحون بهلاك المفسدين، ثم يبعثون على نياتهم، وكل يحاسبه الله بما عمل. ويهلك الأطفال الأبرياء بهلاك الآباء المشركين أو الضالين، وكذا تهلك الدواب مع هلكة عصاة البشر.

وأما الحديث: «إن الميت ليعذب ببكاء الحى عليه» نعم، ويكون على وجهه إذا كان هذا الميت ممن أوصى بذلك قبل موته، أو رضى بفعل ذلك عليه، وهناك من الجاهلين وإلى يوم الناس هذا من يوصى بأن تقام عليه مناحة إذا مات، وأن يؤتى بنائحة، وأن يعظم شأنه عند موته بكذا وكذا من الجاهليات، فهذا لا شك أنه ينطبق عليه الحديث، ويكون العذاب حسيا، يحمل وزر وصيته وأمره، فكلما بكى عليه حى، عذب بذلك.

---

(١) سورة فاطر: ١٨.

(٢) رواه الإمام مالك فى الموطأ رقم (٤٩٤)، ورواه البخارى برقم (١٢٩٠)، ومسلم (٩٢٧).

(٣) سورة الأنفال ٢٥.

(٤) رواه البخارى. كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٦) ومسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠).

وإما أن هذا الميت المسلم لم يأمر بذلك ولم يرتضه - بل حذر منه، ونهى عنه وكتب فى وصيته بالبعد عن هذه الجاهليات، ولكن القوم خالفوه، وفعلوا ما نهاهم عنه، فهذا لا يعذب أى عذابا حسيا، وإنما يكون عذابه معنويا بمعنى أنه يتأذى يؤذى الميت ببكاء الحى عليه، وهو كقول الواحد منه لابنه مثلا: بكاؤك يؤذينى، أو مرضك هذا يعذبنى، ويقطع نياط قلبى! فيكون بهذا المعنى على غير وجهه، وإنما أريد به الإيذاء والحزن، لا سيما والميت يفرح بفرح أهله، ويحزن لحزنهم، كما جاء فى الآثار.

وقيل أيضا: إن الميت هنا بمعنى الكافر، كقوله تعالى: ﴿**وما يستوى الأحياء ولا الأموات**﴾ أى لا يستوى أهل الإيمان وأهل الكفر، وعلى ذلك فالميت هنا بمعنى الكافر، وهذا معذب على كل حال، وقد يزاد له له فى العذاب ببكاء أهله الأحياء، الذين لا يردعهم إيمان عن إتيان ما حرم الله من نياحة على الميت وشق جيوب، ولطم خدود، ودعوى الجاهلية.

ولذلك لما سمعت عائشة أم المؤمنين - أن عبد الله بن عمر يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحى» - فقالت: يغفر الله لأبى عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ بيهودية يبكى عليها أهلها فقال: إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب فى قبرها».

هذا والله أعلم.

«من يخشى من؟»

٢ ـ قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[١].

والفهم الخاطئ: هو قلب معناها، إذ زعم قوم بجهلهم أن الله يخشى عباده العلماء، ولذلك فهم أهل سطوة وسلطان، ترتبت عليه خشية الله منهم ﴿**سبحانه وتعالى عما يصفون**﴾ وإنما الذى حدا بهم إلى ذلك هو عدم فهمهم للغة، وأسلوب التقديم والتأخير، أى تقديم المفعول، وتأخير الفاعل، ويتضح ذلك من نصب لفظ الجلالة ﴿**الله**﴾ لأنها مفعول به، وضم كلمة ﴿**العلماءُ**﴾ لأنها فاعل، فالآية فى غير السياق القرآنى «إنما يخشى العلماءُ ـ من العباد ـ اللهَ، فالعلماء هم الذين يخشون الله تعالى، بما أوتوا من علم، وكذا فهمها السلف والعلماء، وإنما ضل من ضل من قِبل جهله بأساليب اللغة العربية!

«قال ابن عباس رضى الله عنه: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عز وجل، وقال الحسن البصرى: العالم من خشى الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز عفور**﴾.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية.

وعن مالك قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله فى القلب.

ومعناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وإنما العلم الذى فرضه الله

(١) سورة فاطر: ٢٨.

عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله: نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه.

وعن أبى حيان التيمى عن رجل قال: كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل»[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٥٥٣، ٥٥٤ بتصرف.

من سورة يس

«هل اسم الرسول ﷺ «يس»؟»

١ ـ قال تعالى: ﴿يسٓ. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن ﴿يس﴾ من أسماء النبى ﷺ، فراح الناس يتسمون بهذا الاسم، حتى إن بعضهم يكتبه مرة (يس)، ومرة (ياسين).

ومنهم من قال هو بمعنى يا إنسان، ومن قال هو اسم من أسماء الله تعالى.

والصواب أنه من جنس الحروف المقطعة التى أسلم شىء نقوله فيها: الله أعلم بمراده فيها، أو هى حروف نزلت للتحدى والتعجيز،

ومجموعها مع حذف المتكرر نستخرج منه قولهم: «نص حكيم قاطع له سر».

والكلام بطوله مذكور فى موضعه من كتب التفاسير، والأسلم هو الله أعلم بمراده.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم**﴾ الآيات.

الفهم الخاطئ يتمثل فى عود الضمير على الله عز وجل فى قوله ﴿**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه**﴾

فلما أخطأ فى عود الضمير على الله عز وجل، راح يسأل: كيف نسى ـ أى الله ـ خلقه؟!

والجواب: أن هذا فهم خاطئ، ومن زعمه فقد أبعد النزع، وإنما أُتِىَ من قبل جهله بالسياق.

فالآيات الكريمة تحدثنا عن كافر نصب نفسه خصما لله تعالى، يقال هو (أبى بن خلف)، أو هو (العاص بن وائل) وقد أخذ عظما من البطحاء، ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيى الله هذا بعدما أرى؟ أو قال: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ: نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم، وفى رواية: نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار.

قال: ونزلت هذه الآيات من آخر يس ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [(١)]

فالذى ضرب المثل هنا هو الإنسان بهذا العظم الذى فته، ونسى خلقه أى نسى نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال عز وجل ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أى يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت، وسبحان من لا يعجزه شىء ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه ابن كثير، وعزاه إلى أبى حاتم (٣/ ٧٦١) من طريق هشيم عن أبى مبشر عن سعد بن جبير عن ابن عباس به، ورواه ابن جرير فى التفسير من طريق ابن كثير مرسلا بسند صحيح.

(٢) سورة يس: ٧٨ ـ ٨٣.

من سورة الصافات

«هل سيحشر كل زوج مع زوجه»؟

١ - قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾(١).

والفهم الخاطئ: إذا كان الزوج كافرا أو فاجرا، وجزاؤه جهنم، فما ذنب زوجه الصالحة المؤمنة أو العكس من ذلك؟!

والفهم الصحيح: أن قوله تعالى ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ بمعنى أشباههم وأمثالهم ومن على شاكلتهم وليس بمعنى الأزواج بمعناها الشرعى أو المعروف، لأنه فى كتاب الله تعالى، إذا كانت الزوجة صالحة والذرية كذلك كانوا مع الزوج والأب ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(٢).

وأما إذا كان الزوج مؤمنا والزوجة كافرة، فلا يحشر الزوج المؤمن مع زوجته الكافرة، ولا الزوجة الكافرة مع زوجها المؤمن، وقد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(٣).

وأما إذا كانت الزوجة هى المؤمنة، والزوج هو الكافر فإنه يفرق بينهما فى الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة الصافات: ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة الطور: ٢١.
(٣) سورة التحريم: ١٠.
(٤) سورة التحريم: ١١.

وبناء عليه لا تؤخذ الآية بحرفيتها، ولا بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن بسبب المعنى الشائع، ولو فهم الإنسان أساليب اللغة، وأن كلمة الزوج تطلق على الأشباه والنظائر ما ظن هذا الظن الذى هو محل الشبهة والتساؤل، وظنه البعض تعارضا فى كتاب الله، ورضى الله عن عمر بن الخطاب قال فى معنى الآية: اخوانهم وأشباههم. وقال: يجىء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أماكنهم.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أى أرشدوهم إلى طريق جهنم[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٤بتصرف.

«هل كذب إبراهيم فى قوله :إنى سقيم؟»

٢ ـ قال تعالى فى قصة إبراهيم: ﴿فنظر نَظْرَةً فِي النُّجُومِ .فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ . فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِين﴾(١).

والفهم الخاطئ: كيف يقول إبراهيم ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بعد نظره فى النجوم، ولم يكن كذلك؟!

والجواب: بأن ابراهيم عليه السلام بما أوتى من حكمة فى الدعوة، وتنوع فى أسلوبها، أراد أن يوهم قومه بعد نظرة عابرة فى النجوم ـ على عادتهم ـ أنه سقيم، ليؤدى دوره الذى أراد أن يقوم به ومهمته الدعوية، فى تحطيم الأوثان،

فاحتال على القوم بقوله ﴿إِنِّي سَقِيم﴾ وهذا أسلوب من أساليب اللغة، فيمكن أن يقول ﴿إِنِّي سَقِيم﴾ على الحقيقة، فهو حق فى نفس الأمر وقد أحس بشىء من التعب والإرهاق، ويمكن أن يكون على سبيل المجاز، أى أنا سقيم من معتقداتكم، ومن أفعالكم، أو كان سقيم الباطن والضمير، قلق الخاطر، وهو كقول الرجل لآخر بعد طول جدال: لقد أتعبتنى، وكلام إبراهيم عليه السلام من هذا النوع أو ذاك، ومن ثم لا يكون فيه شىء من الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله، حاشا وكلا، وإنما هو من باب التعريض والتمويه، و«إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب، وقد فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِين﴾ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾(٢) وذكر ذلك فى الحديث على أنه من الكذب تجوزا، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى، يريد بها أن يدافع عن دين الله تعالى(٣).

---

(١) سورة الصافات: ٨٨ ـ ٩٠. (٢) سورة مريم: ٤١.

(٣) قصص الأنبياء لأبى كثير صـ١٣٠ ـ ١٣٤ ومع الأنبياء فى القرآن الكريم / عفيفى عبد الفتاح طبارة صـ١١٢ ـ ١١٥ بتصرف.

«من الذبيح؟»

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾(١).

فزعم قوم أن الذبيح هو «إسحاق» وسطروا فى ذلك الإسرائيليات، ووافقوا التوراة المحرفة! وذكروا روايات حاولوا رفعها للنبى ﷺ ـ لم يصح منها شىء ـ تحدث بأن الذبيح إسحاق!! بل هى موضوعة.

وجوابنا أن الآيات فى غاية الوضوح، وتكاد تصرح بأن الذبيح هو إسماعيل، الابن البكر الوحيد، قبل أن يأتى إسحق، فقد وصفته الآيات بأنه غلام حليم، وأما اسحاق ففى قصة بشارة سارة وإبراهيم به ـ بعد أن بلغا من الكبر عتيا، وكانت سارة عقيما لا تلد ـ وصفته الآيات فى سورة الذاريات بأنه عليم، قال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾(٢) فالآيات وإن لم تصرح باسمه، لكن يتضح من خلال الوصف بأنه اسماعيل، فإسماعيل موصوف بالحلم، لأنه صبر على أمر الله ولم يعترض وأعان أباه على تنفيذ أمر الله، صابرا محتسبا يقول: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾.

وكذلك نجد فى القرآن الكريم البشارة لسارة بإسحاق ومعها البشارة بابنة يعقوب من ورائه ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾(٣) فالبشارة بالابن والحفيد معا، فكيف يتناسب البشارة بالولد وولد الولد، مع أمر إبراهيم بذبح الولد، وقد بشر بأنه سيكون له حفيد منه؟!

وقد صح فى المرويات بأنه جلس بعض الصحابة فى مجلس معاوية ـ وهو أمير للمؤمنين ـ فاختلفوا: من الذبيح؟

---

(١) سورة الصافات: ١٠١، ١٠٢.　　(٢) سورة الذاريات: ٢٨ ـ ٣٠.

(٣) سورة هود: ٧١.

فقال بعضهم اسحق، وقال بعضهم إسماعيل، فقال معاوية: على الخبير سقطتم، بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأعراب، وقال يا رسول الله هلك المال وهلك الرجال، وقد تركت الأرض يابسا والوجه عابسا، وقد جئتك يا ابن الذبيحين لتدعو لى أو تدعو لنا، فلما قال يا ابن الذبيحين، تبسم النبى ﷺ.

فقالوا: يا معاوية ومن الذبيحان؟ فقال: لما أمر عبد المطلب فى المنام بحفر بئر زمزم نذر إن يسر الله حفرها أن يذبح ولدا من أولاده العشرة، فلما يسر الله حفرها وأراد أن يوفى بنذره، واقترع فكانت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب - والد النبى ﷺ - فقالوا له أوف بنذرك ولا تذبح ولدك، واجعل بدلا من ذبح ولدك مائة ناقة، فذبح مائة ناقة، وفدى ولده عبد الله، فكان هذا هو الذبيح الأول، وأما الذبيح الآخر فهو إسماعيل عليه السلام، الأب الأول.

فلما كانت خلافة (عمر بن عبد العزيز) ذكر ذلك له فقال: ما كنت انظر لهذا - يعنى أنه لا يعتبر المسألة فيها خلاف فى أن الذبيح إسماعيل - فلما قيل له، استدعى رجلا كان يهوديا فأسلم، فسأله عن الذبيح، فقال: والله إنه (لإسماعيل) يا أمير المؤمنين، ولكن اليهود يحسدونكم معشر العرب على أن يكون هذا الشرف لكم وليس لهم، فمن ثم حرفوا التوراة[1].

ولذلك تجد التوراة تقول «يا إبراهيم خذ ابنك الوحيد، وتقول: خذ ابنك بكرك، ثم تضيف (اسحق) بين قوسين، فكيف يكون الابن البكر الوحيد هو إسحاق، مع أنه كان الثانى وليس البكر كما قالت التوراة، ورزق إبرام «إبراهيم» باسحق وهو ابن مائة سنة، ورزق بإسماعيل وهو ابن ست وثمانين سنة، فيكون بينهما أربع عشرة سنة، فاسماعيل مولود

---

(١) رواه ابن جرير وابن إسحاق والأموى فى مغازيه.

قبل إسحق بأربع عشرة سنة، فكيف يكون إسحاق هو البكر وهو الوحيد؟! وهذا ما يدل على تحريف التوراة وإقحام كلمة إسحق لما ذكر من الحسد وإنكار رسالة النبى محمد ﷺ، وحتى لا تكون النبوة فى ولد إسماعيل!!

«من هو نبى الله (إلياس)؟»

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ . سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والفهم الخاطئ تمثل فى اسرائيليات حول قصة نبى الله «إلياس» عليه السلام، بما لا يؤيده شرع، ولا يقبله عقل، ومن ذلك الزعم بأن إلياس عليه السلام هو الخضر، صاحب موسى والذى وردت قصته فى سورة الكهف، والزعم بأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم، وأنه طلب من الله أن يجعله كالملائكة، فرفعت عنه شهوة الطعام والشراب، فصار لا يأكل ولا يشرب، وأوحى إليه أنه إذا وجد دابة لونها كالذهب أو اللهب فاركبها، فوجدها فركبها فعرج به إلى السماء، وهو فيها لا يزال حيا!

ومن الإسرائيليات ما حاولوا رفعه إلى النبى ﷺ، فأسندوا إلى أنس ابن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله ﷺ أنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر، وكنا فى الصحراء، وإذا بى أرى رجلا عملاقا طوله ثلاثمائة ذراع أو يزيد، فقال لى: من أنت؟ فقلت: أنا أنس خادم رسول الله ﷺ، فقال: وأين رسول الله ﷺ، اقرئه منى السلام، فقلت: ها هو الآن يسمعك، فاجتمع الرسول عليه الصلاة والسلام بإلياس وسلم عليه، وقال له يا رسول الله. إنى أظل طول العام لا آكل ولا أشرب، أظل صائما إلا يوما واحدا فى العام، وهذا يوم فطرى، فاجلس لتتناول طعاما معى، فجلس النبى ﷺ، وإذا بمائدة نزلت من السماء فأكل النبى ﷺ مع إلياس، قال: فدعانى فأكلت معهما، وودعنى وودعته».

(١) سورة الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢.

هكذا تذكر الاسرائيليات، وذكرت أيضا: أن القوم الذين أرسل إليهم إلياس لما كذبوه وطردوه، فغضب إلياس عليهم فطلب من الله عز وجل أن يعذب قومه، فأوحى إليه: إنى وكلت أمرهم ورزقهم إليك! فطلب إلياس أن يمنع عنهم القطر من السماء ثلاث سنوات، وصعد هو على جبل، فانبع الله له عينا خاصة يشرب منها ويتطهر بها، وصار الناس فى قحط شديد وجوع وجهد، وقد لجأوا إلى آلهتهم يتقربون إليها ويطلبون منها الرزق والمطر، فلم تسمع ولم تجب، فغضب الملك على سدنة الآلهة، وقال لهم: إله إلياس خير من آلهتكم، وأسرع استجابة، فبدأوا يبحثون عن إلياس حتى وجدوه فسألوه ما الذى يريد، فقال انبذوا آلهتكم واطردوها من بيوتكم، وألقوها، ففعلوا، فدعا إلياس عليه السلام ربه، فامطرت السماء، وأنبتت الأرض!! وهى كما ترى قصة مهلهلة، فأمر الرزق بيد الله، لا يوكله الله لأحد، ولم يحرم منه مسلما ولا كافرا، وهو كلام لا يصح نقلا ولا عقلا!!

وفى قصة إلياس إسرائيليات كثيرة مطولة، يبدو أنها من اختراع القصاصين، الذين رأوا فى قصة إلياس فى القرآن ايجازا، لم يتناسب مع مقام قصصهم، فراحوا يخترعون ويؤلفون، فيذكرون الأعاجيب، لتحسن القصة فى نظر من يسمع، أو يدفع!!

والآيات كما تراها تحدثت عن نبى من الأنبياء، هو إلياس عليه السلام، من بين الذين ذكروا فى القرآن صراحة، وإن كانت القصة مجملة، لم تبين أين بعث إلياس؟ أو متى بعث؟ ومن هم القوم الذين أرسل إليهم؟ ولكن حرصت الآيات على أنها تظهر جانب التوحيد الذى هو لب دعوة الرسل، بشقيه من كفر بالأرباب الزائفة والآلهة الباطلة، ثم الإيمان بالإله الواحد الحق رب الأولين والآخرين، وهو أحسن الخالقين.

وأما صنمهم الذى يسمونه «بعلا» ويدعونه، فإنه لا يغنى عنهم من

الله شيئا، ولا ينفع ولا يضر، ومن الممكن قبول ما ذكر عن معنى (البعل) من أن القوم الذين أرسل فيهم إلياس عليه السلام، كان لهم ملك جبار، وكانت له زوجة، فمات الملك وبقيت الزوجة فصنعت لزوجها تمثالا وجعلت له حدقتين من الياقوت، وزينته وألبسته تاجا وسمته «بعلا» وصارت كلما دخلت عليه تقبله وتسجد له، ثم تزوجها رجل آخر فكان ملكا فأمرته أن يعبد صنمها الذى تعبده، وصار له سدنة - أى خدم لهذا الصنم، وكانوا سبعين، وفى هذه الأثناء وتلك الأيام أرسل الله عز وجل إلياس عليه السلام، فأمر الملك ومن معه بعبادة الله وحده ونبذ عبادة هذا الصنم وغيره، لأن الله عز وجل هو الذى خلق وهو الذى رزق، وهو الذى خلق الآباء والأجداد، ويخلق الأبناء والأحفاد، فلماذا يَدَعُوَن الله عز وجل ويعبدون صنما كان تمثالا لبعل أو زوج؟ ولكن السدنة ضحكوا على الملك وقالوا له: نحن فى رغد من العيش، والآلهة راضية عنها، فنحن على ما نحن عليه، فمال الملك إلى رأى السدنة ونبذ إلياس وطرده، فعذبهم الله تعالى.

نقول: فهذا كلام محتمل، وهو من جنس (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

مالم يتنافى مع شرع، ويتناقض مع عقل، ولذا فهذا القدر فيه كفاية، والله أعلم.

سورة ص
«ماذا فعل نبى الله (داود)؟»

١ ـ قال تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[1].

والفهم الخاطئ يتمثل فى الاسرائيليات فى هذه القصة، والتى جاءت موافقة أو مقاربة لما جاء فى التوراة المحرفة، حتى صورت للناس أن داود ارتكب خطيئة عظيمة لا تكاد تغتفر! ولقد شرقت الاسرائيليات وغربت فى هذه القصة، فاتهمت داود بأنه رأى زوجة قائد جيشه، فأعجبته، فطلبها للزواج وهى على ذمته، واستطاع التخلص من زوجها ليجعلها لنفسه، مع أنه كان معه تسع وتسعون من النسوة، وأبى إلا أن يجمع هذه الزوجة التى لقائده، وهنا نزل عليه الملكان فى صورة خصمين من البشر، يعاتبانه بما قال القرآن ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وفسروا المرأة بالنعجة!

فبعد ذلك أفاق داود لنفسه، وندم وبكى، وخر لله ساجدا أربعين سنة، وهو يبكى حتى ابتلت الأرض من دموعه فأنبتت نباتا فوق رأسه، وأكلت الأرض جبينه، حتى أوحى الله إليه أنه غفر له خطيئته المتمثلة فى زواجه من زوجة قائده بتلك الطريقة الماكرة البشعة! لكن كيف إذا جاء

---

(١) سورة ص: ٢٠ ـ ٢٥.

قائدك يوم القيامة يقول: أى رب خذ حقى من داود، وأين دمى الذى أراقه داود؟ فأخذ داود يبكى ويستغفر، وخرج هائما على وجهه فى الصحارى والجبال يترنم ويبكى حتى إن الجبال أخذت تبكى معه وتترنم وتسبح معه. !!

أقول: فهذا مختصر لما جاء فى الاسرائيليات المرتبطة بهذه الآية، وقد وردت بأكثر من طريقة أو رواية عن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه،

وهى قصة مهلهلة لا تتفق مع أنبياء الله، بل ولا مع البشر السوى، فكيف تنسب إلى نبى من أنبياء الله، له العصمة، وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه بقوله ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾[1] وكذلك ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[2].

فكل ما ذكر حول هذا المعنى الذى أشرت إليه هو كلام باطل، وهو من الكفر والعياذ بالله، وإن عليا رضى الله عنه كان يقول: من زعم هذا الزعم على داود عليه السلام، لأجلدنه مائة وستين جلدة، ثمانين منها حد القذف، وثمانين لافترائه وبهتانه على نبى من أنبياء الله.

ومن الخطأ كذلك أن تفسر كلمة النعجة بالمرأة، فإذا كانت المرأة نعجة فالرجل خروف!!

وهذا أمر غريب لا يجوز، فالنعجة هى النعجة، والمرأة هى المرأة.

والزعم بأن الخصمين كانا ملكين، وقد تسوروا المحراب على داود فى يوم عبادته، وليس فى يوم القضاء وأنهما أرادا أن يمتحنا داود فنزلا عليه، وأنه فزع منهما وقد سألاه سؤالهما فأجابهما فضحكا عليه لأنه هو المعنى بالسؤال، وقد شهد على نفسه، وتعجل فى الحكم بسماعه من واحد دون الآخر.

أقوال: كل هذا أو جله لا يصح، لأنه انبنى على الاسرائيليات!

وإنما فتنة داود التى استغفر منها ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ**

(١) سورة ص: ١٧. (٢) سورة ص: ٢٥.

رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ .

قيل إنما هى تعجله فى الحكم بسماعه من واحد، وعدم سماعه من الآخر، وهذا لم تثبت صحته، وإنما المعنى المقبول: أن داود عليه السلام لما جعل يوما لعبادته، وجعل يوما للقضاء بين العباد، فبينما هو فى محرابه إذ تسور رجلان سور المكان الذى هو فيه، فدخلا بطريقة اللصوص أو القتلة المجرمين، فلما دخلا على داود وهو منهمك فى عبادته ـ بتلك الطريقة المنكرة التى يفهم منها أنهما أرادا الشر به، ففزع منهما، وظن داود أنهما جاءا لقتله فظن بهما سوءا، فإذا به يطمئنانه ويبينان المراد من تسورهما فى ذلك اليوم إذ القضية لا تحتمل تأخيرها إلى يوم القضاء، فظن داود سوءا بالرجلين وأنهما جاءا لقتله، كان هذا منه بمثابة المعصية وكونه فزع منهما وهو فى رحاب الله، متلبسا بعبادته، ثم هو يخشى القتل، فهذا ما لا يليق بداود ولا يجب أن يكون، فكونه خشى القتل، أثناء عبادته لله، وظنه بالرجلين، تلك خطيئته التى تاب منها وأناب واستغفر وركع لربه وسجد منيبا إليه، فغفر الله له ذلك، لما له من زلفى وقرب عند الله مع حسن المئاب[1].

---

(١) العقائد الإسلامية صـ١٦٥، ١٦٦، والتفسير الموضوعى للقرآن الكريم صـ١٤١ ـ ١٤٦ بتصرف.

«ماهى فتنة سليمان؟»

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

والفهم الخاطئ:ـ ما ارتبط بهذه الآيات خاصة ـ وقصة سليمان عامة ـ من اسرائيليات منكرة فقالوا حول هذه الآية حكايات تشبه الأساطير، أو ما يعرفه الناس بحكايات ألف ليلة وليلة!

وحكاية «خاتم سليمان»! فقالوا: كان لسيدنا سليمان خاتم هو خاتم الملك! وقد دخل الخلاء مرة فنزع الخاتم وأعطاه لاحدى زوجاته فتمثل شيطان بصورة سليمان فأخذ الخاتم من زوجته، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: أين الخاتم؟ قالت: أخذه سليمان، فقال: أنا سليمان، فقالت: أنت كاذب، لقد أخذه سليمان!!

والشيطان بعد أن أخذه سلب سليمان ملكه، وأخذ منه كل شيء، حتى إنه كان يأتى نساءه، وما أنكروا من أمره شيئا إلا أنه صار يأتيهن وهن حُيض!

وظل الشيطان يستخدم خاتم سليمان، وقد أصبح سليمان فقيرا مسكينا، يعمل صيادا فى البحر، وكان من أمر الشيطان أنه خشى أن يفتضح أمره، فألقى الخاتم فى البحر، فابتلعته سمكة، فاصطادها سليمان، فلما أراد أن يشويها وجد فيها الخاتم، فلبسه وعاد ملكه إليه، وصار الأمر إلى ما كان، وأفضل مما كان!!.

فاعجب ـ يا مسلم ـ لهذه الحكاية وتلك الرواية، التى أختصرتها لك من عشرات الروايات، سجلت فى عشر صفحات أو أكثر، تحكى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعن كعب الأحبار!

بل ربما رفعوا بعض ذلك إلى النبى ﷺ!!

---

(١) سورة ص: ٣٤، ٣٥.

فهل كان ملك سليمان، متوقفا على خاتم، يبقى ببقائه، ويزول بزواله!

وهل يصح للشيطان أن يأتى نساء سليمان، ويكون بصورة سليمان!

وهل من الممكن أن يقدر الله شيطانا ليتمثل فى صورة سليمان، ويتحكم فى ملكه!

إنه لعجيب أمر هذه الإسرائيليات، وأعجب منها من أوردها، ومن قبلها، ومن كتبها، ومن دافع عنها، وأراد أن يضع لها الأسانيد التى تقول إن هذه الإسرائيليات صحيحة، لكن الذى لم يصح منها هو أن الشيطان جامع نساء سليمان! والحق أن الأمر كله كذب البته.

وإنما كل ما صح فى ذلك ما ورد عن النبى ﷺ، أنه لما تزوج سليمان بسبعين امرأة وقال: سأطوف عليهن فى ليلة واحدة لتنجب كل واحدة منهن فارسا يقاتل فى سبيل الله، ونسى أن يقول إن شاء الله، فذكره صاحبه - أى الملك، كما جاء فى التفسير فلم يقل - فأتى نساءه فلم تحمل إلا واحدة فجاءت بولد شقه ساقط، يعنى ولد نزل مريضا وبه عيوب خلقية، يقول النبى ﷺ: ولو قال: «إن شاء الله لأنجب سبعين فارسا، كلهم يقاتل فى سبيل الله»[1].

فكانت تلك خطيئة سليمان أنه لم يقل: إن شاء الله فامتحنه الله وأتى له بهذا الولد ساقط الشق، مائل الوجه، لا يستطيع أن يقاتل ويجد مشقة فى أن يأكل، فكانت تلك فتنته، كما قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾.[٢] - ١، هـ [٣]

●●●●●

(١) رواه البخارى برقم (٧٤٦٩)، ومسلم برقم (١٦٥٤).

(٢) سورة ص: ٣٤، ٣٥.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٣٣٧ - ٣٨٥ بتصرف.

سورة الزمر

«هل المغفرة بغير أسباب؟»

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.(١)

الفهم الخاطئ: إنك تسمع هذه الآية فى موضعها وفى غير موضعها، إما فى باب الرجاء أو فى باب الأمن من مكر الله، يقولها الرجل وهو يظن أنها مغفرة من غير توبة ومن غير الأخذ بأسبابها وكيف تغفر جميعها من غير توبة ومعلوم أن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.

والفهم الصحيح أن هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، وكذلك قال الله تعالى بعدها ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾.(٢)

وهذه التوبة مشروطة بالاتباع ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾.(٣)

والآية دعوة ألا يقنط العبد من رحمه الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع حتى لا ييأس عبد من التوبة، ولا يقنط من رحمة الله،

هذا وإن كثيراً من الناس يفسر التوبة بالعزم على أن لا يعود إلى الذنب بالإقلاع عنه فى الحال، وبالندم عليه فى الماضى وإن كان فى حق

(١) سورة الزمر: ٥٣ (٢) سورة الزمر: ٥٤.
(٣) سورة الزمر: ٥٥

آدمى فلابد من أمر رابع وهو التحلل منه.

وهذا الذى ذكروه بعض مسمى (التوبة) بل شرطها، وإلا فالتوبة فى كلام الله ورسوله ـ كما تتضمن ذلك ـ تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه فلا يكون بمجرد الاقلاع والعزم والندم تائبا حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور، والإتيان به، هذه حقيقة التوبة وهى اسم لمجموع الأمرين، لكنها إذا قرنت بفعل المأمور كانت عبارة عن ما ذكروه، فإذا أفردت تضمنت الأمرين.

فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره، فهى رجوع من مكروه إلى محبوب، فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماها والرجوع عن المكروه، الجزء الآخر، ولذلك علق سبحانه الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها، فقال ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾

فكل تائب يفلح ولا يكون مفلحا إلا من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. قال تعالى ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾ وتارك المأمور ظالم، وزوال اسم «الظالم» عنه، إنما يكون بالتوبة الجامعة للأمرين، فالناس قسمان: تائب وظالم ليس إلا، فالتائبون هم العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، فحفظ حدود الله جزء التوبة.

وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله ، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وإنما يحب الله من فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

سورة غافر

«ما معنى الموتتين والحياتين؟»

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.(١)

الفهم الخاطئ: يتمثل فى كثرة السؤال عن الموتتين والحياتين!

أو تحديدها تحديدا خاطئا كمن حسب حياة القبر أو الحياة حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام، وحياتهم فى الأرحام وهذا يستلزم أكثر من حياتين أو موتتين، بل يلزم ثلاث إحياءات واماتات على الأقل.

والصحيح أن هذه الآية كقوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.(٢)

والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدى الله عز وجل فى عرصات القيامة، فهم تلطفوا فى السؤال وقدموا بين يدى كلامهم هذه المقدمة وهى قولهم ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أى قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء، فقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا فى الدار الدنيا ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أى فهل أنت محيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذى كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمحه وتنفيه، ولهذا قال تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ

(١) سورة غافر: ١١.
(٢) سورة البقرة: ٢٨.

كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾[١] أي أنتم هكذا تكونون وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.[٢]

(٣) سورة غافر: ١٢.
(٤) سورة الأنعام: ٢٨.

من سورة فصلت

«ما عدد أيام الخلق؟»

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.[١]

الفهم الخاطئ: قال المستشرقون: فى هذه الآيات بين الله تعالى أنه خلق الأرض فى يومين، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام وقضى سبع سموات فى يومين، فمجموع هذه الأيام ثمانية، فى حين أنه بين فى بقية آيات القرآن أن أيام الخلق ستة أيام، على نحو ما جاء فى سورة الأعراف ويونس والفرقان والسجدة وق.

فقال تعالى فى واحدة منهن ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..﴾[٢] فكيف اذن؟ وزعموا أن هذا من التناقض فى القرآن، ومن هفوات محمد البشرية!!

والجواب على ذلك: نقول لهم مهلا يا قوم، فهل هذا من عمى البصر أم من عمى البصيرة عندكم؟!

إذ كل آيات الخلق مجمعة على أنها فى ستة أيام، بما فيها هذه الآيات التى يجادل فيها الكفار، وسبحان ربى العظيم. إذ يسجل من الإعجاز القرآنى هنا أن تبدأ هذه الآيات بأسلوب يخالف بقية الآيات فى هذا الصدد، فتقول ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ . . الآيات. إذ فيها دلالة على أنه سيوجد من يكفر بهذه الآيات ويجادل فيها وهم

---

(١) سورة فصلت: ٩ ـ ١٢.

(٢) سورة يونس: ٣.

الذين اتخذوا أندادا من دون الله، ثم بنظرة سريعة حول الآيات نجد أن الله تعالى هنا وهو يُفَصِّلُ خلق السموات والأرض، بين أنه خلق الأرض فى يومين، ثم قدر فيها أقواتها ومتاعها، والجبال أرساها، ونحو ذلك فى يومين آخرين، فاستغرق مجموع خلق الأرض بتوابعه أربعة أيام، ثم خلق السموات فى يومين آخرين، فهذه ستة وليست ثمانية . وذلك لأن قوله تعالى ﴿ **خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ وقد ذكر بعدها ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ ليست غيرها، وإنما هو مجموعها، بمعنى يومين خلق، ويومين تقدير أقوات، فهى أربعة أيام ومثال ذلك فى كلامنا: تقول: بنيت العمارة، فأسستها فى ثلاثة أشهر، وأكملت بناءها فى عام، فكم استغرقت مدة البناء؟ المدة عام، وليس عام وثلاثة أشهر، لأن مدة الثلاثة أشهر التى استغرقها الأساس داخلة فى العام، وليست خارجة عنه وهى جزء من كل»-[1].

قال ابن كثير: خلق الله الأرض فى يومين، فخلق الأرض وما فيها من شىء فى أربعة أيام، وخلق السموات فى يومين، وفى البخارى ﴿**خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ يعنى يومى الأحد والاثنين ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا**﴾ أى جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التى تزرع وتغرس، يعنى يومى الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة، ولهذا قال ﴿ **فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ**﴾ أى لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

وقال عكرمة ومجاهد فى قوله عز وجل ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾ وجعل فيها من كل أرض ما لا يصلح فى غيرها. .

وقوله تعالى ﴿**سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ**﴾ أى لمن أراد السؤال عن ذلك، أو هو

---

(١) مختصر من حديث للشيخ محمد متولى الشعراوى.

كقوله تعالى ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[١] والله أعلم ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وهى بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أى استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلى طائعتين أو مكرهتين، وقال ابن عباس: أى قال الله تبارك وتعالى للسموات اطلعى شمسى وقمرى ونجومى، وقال للأرض شقى أنهارك واخرجى ثمارك.

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ واختاره ابن جرير رحمه الله، قالتا أتينا طائعين أى بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعا مطيعين لك.

وقوله ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أى ففرغ من تسويتهن سبع سموات فى يومين أى آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ﴾ أى ورتب مقررا فى كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التى لا يعلمها إلا هو ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهى الكواكب المنيره المشرقة على أهل الأرض، ﴿وَحِفْظًا﴾ أى حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أى العزيز الذى قد عز كل شىء فغلبه وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقين وسكناتهم».[٢]

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٩٣ بتصرف.

«ما معنى الهداية؟»

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ. . .** ﴾[١] الآية.

الفهم الخاطئ في صورة سؤال: كيف هديناهم، وفى نفس الوقت استحبوا العمى على الهدى؟!

والجواب أن الهداية هدايتان، هداية دلالة وهى قوله ﴿**فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾.

وهداية معونة، مَنْ قَبِلَ هداية الدلالة والإرشاد، مُنحَ هداية المعونة والتوفيق ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[٢] ومن رفضها كحال ثمود، فإنه لا يعطى هداية المعونة وهو قوله ﴿**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ**﴾ وهداية الدلالة والإرشاد قاسم مشترك لكل الناس، يملكها الأنبياء، وورثتهم من العلماء ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٣] وهداية معونة وتوفيق، لا يملكها إلا الله جل وعلا، وهى قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾.[٤]

---

(١) سورة فصلت: ١٧.

(٢) سورة محمد: ١٧.

(٣) سورة الشورى: ٥٢.

(٤) سورة القصص: ٥٦.

من سورة الشورى

«ما معنى المودة فى القربى؟»

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أنها تأمر بالتوسل بآل البيت، فهم قرابة النبى ﷺ المعنيون بالآية.

وقد جاء هذا المعنى فى تفسير الألوسى وغيره:

ويجاب عما ذكر بأن الآية لم تذكر التوسل ولم تأمر به، وإنما قالت «المودة» التى هى المحبة، هذا.. و «القربى» الواردة فى الآية، قد تفسر بقرابة النبى ﷺ من قريش.

ويكون المعنى: قل يا محمد لقريش لماذا كفرتم وصددتم عن سبيل الله، مع أننى لم أطلب منكم أجرا، ولا أخذت منكم مالا، ولكن أسألكم بحق القرابة التى بيننا، والمودة التى كانت تربطنا أن دعونى أبلغ دعوة ربى.

وإن كانت القرابة بمعنى آل بيت النبى ﷺ فهى تأمر بمحبتهم، ومحبتهم من الدين لا ينكرها إلا جاهل أو منافق: فحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ولكن المحبة ليست تمسحا بالأبواب، وتبركا بالأخشاب، وسجوداً على الأعتاب كما أنها ليست طوافا بالقبور، ولا نذرا يوضع فى صناديق النذور، ولا حلقا للرؤوس وتقصيراً للشعور، ولا سوقا للذبائح والهدى تذبح عند المقاصير، تقربا بأصحاب القباب والمقامات والتوابيت!!

وإنما المحبة شىء آخر، ارتبط بالطاعة والاتباع، والسير على النهج واقتفاء الأثر.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله عز وجل: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عنى وتذرونى أبلغ رسالات ربى إن لم تنصرونى فلا تؤذونى بما بينى وبينكم من القرابة.

قال البخارى. . . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة» وانفرد به البخارى[1]، ورواه الامام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به، وهكذا روى عامر والشعبى والضحاك وعلى بن أبى طلحة والعوفى ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مثله، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتى وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم».

وروى الإمام أحمد . . . عن ابن عباس ـ أيضا ـ أن النبى ﷺ قال: «لا أسألكم على ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقربوا إليه بطاعته»[2] وهكذا روى قتادة عن الحسن البصرى مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول: إلا المودة فى القربى أى إلا أن تعملوا بالطاعة التى تقربكم عند الله زلفى.

وقول ثالث وهو ما حكاه البخارى وغيره: رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تودونى فى قرابتى أى تحسنوا إليهم وتبروهم. وقال السدى عن أبى الديلم قال: لما جىء بعلى بن الحسين رضى الله عنهما ـ أسيرا فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل

(١) روه البخارى. كتاب التفسير. باب إلا المودة فى القربى (٣٤٩٧).
(٢) صحيح رواه الحافظ ابن كثير فى التفسير وعزاه إلى أحمد (٤/ ١٤٠).

الشام، فقال: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له على بن الحسين رضى الله عنه. أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت: الـ حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ (الـ حم) قال: ما قرأت ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: «نعم».

وقال أبو إسحاق السبيعى سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال: قربى النبى ﷺ» رواهما ابن جرير.

وقال ابن أبى حاتم... عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قالوا يا رسول الله: من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: (فاطمة وولدها رضى الله عنهم) وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعى مخترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره فى هذا المحل.

وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد، فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضى الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلى رضى الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة.

والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن (عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما كما رواه عنه البخارى. ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلى وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين. وقد أوردت فى ذلك آثارًا كثيرة»[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١١١ ـ ١١٤ بتصرف.

سورة الزخرف

«من هو أول العابدين؟»

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[١].

والفهم الخاطئ: زعم قوم أن رسول الله ﷺ هو أول خلق الله الذين عبدوه بهذه الآية!!

والصواب: ليس كذلك، ولكنه الافتراض، أى قل يا محمد إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى لو فرض هذا لعبدته على ذلك، لأنى عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرنى به ليس عندى استكبار ولا اباء من عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا، كما قال الله عز وجل ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢] ولما كان ذلك لا ينبغى، فأنا أول من يجحد بنوة لله، ويشهد على ذلك، ولا يعبد غير الله، وقال السدى فى الآية: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدًا ولكن لا ولد له، وهو اختيار ابن جرير ولذلك قال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣] أى تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له.

وهذا كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤].

وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة الزخرف: ٨١. (٢) سورة الزمر: ٤. (٣) سورة الزخرف: ٨٢.
(٤) سورة المؤمنون: ٩١، ٩٢. (٥) سورة الأنبياء: ٢٢.

وكقوله جل وعلا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً . تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[1].

فهذا من قبيل الافتراضات التى يخاطب بها عقولنا لندرك توحيد الله تعالى عن بينة وعلى بصيرة.

---

(١) سورة الاسراء: ٤٢ ـ ٤٤.

من سورة الدخان

«ما هى الليلة المباركة؟»

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[١].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن هذه الليلة هى ليلة النصف من شعبان، وأنها الليلة التى تقدر فيها أقدار السنة، وتقسم فيها الأرزاق، ونحو ذلك، ومن ثم خصص المبتدعة لها دعاء يسمى بدعاء ليلة النصف من شعبان، وفيه «اللهم إن كنت كتبتنى عندك شقيا أو مطرودا أو محروما أو مقترا علىَّ فى الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتى وطردى وحرمانى وتقتير رزقى، واكتبنى عندك سعيدا موفقا... الخ».

والفهم الصحيح: أن الله تعالى يخبر عن القرآن العظيم أنه أنزله فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر، كما قال عز وجل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢] وكان فى شهر رمضان، كما قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٣] ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان - كما روى عن عكرمة - فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها فى رمضان.

والحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ - قال: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح، ويولد له، وقد أخرج اسمه فى الموتى» فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص.

وقوله عز وجل ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أى معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله على عباده. وقوله ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

(١) سورة الدخان: ٣، ٤. (٢) سورة القدر: ١.
(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

حكِيم﴾ أى فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك، والضحاك وغير واحد من السلف. وقوله جل وعلا **﴿حكِيم﴾** أى محكم لا يبدل ولا يغير، ولهذا قال جل جلاله **﴿أمرا من عندنا﴾** أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه..»(١).

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٣٧، ١٣٨.

من سورة الجاثية

«هل الهوى إله؟»

١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾(١).

يسأل سائل: كيف يتخد الهوى إلها؟ وكيف يضله الله على علم؟

والجواب: إنه إذا ائتمر بهواه، ففعل ما رآه حسنا، وترك ما رآه قبيحا، فإنه يكون قد اتخذ هواه إلها أى مشرعا، يحسن له ويقبح له، كما أن فيه ردا على من قال بالحسن والقبح العقليين، وعن مالك فيما روى عنه من التفسير ـ لا يهوى شيئا إلا عبده».

وقوله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل قولين: أحدهما: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك.

والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، والثانى يستلزم الأول ولا ينعكس، وقوله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ أى فلا يسمع ما ينفعه يعنى شيئا يهتدى به، ولا يرى حجة يستضيئ بها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الجاثية: ٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير حـ٤ صـ١٥٠ بتصرف، والآية من سورة الأعراف ١٨٦

«هل ينسى الله؟»

٢ ـ وهناك من يسأل عن قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[١] يقول: كيف ينساهم الله تعالى، وقد جل عن السهو والنسيان؟!

والجواب: أى نعاملكم معاملة الناسى لكم فى نار جهنم، كما نسيتم لقاء يومكم هذا، أى فلم تعملوا له، لأنكم لم تصدقوا به ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: ﴿فاليوم أنساك كما نسيتنى﴾[٢].

---

(١) سورة الجاثية: ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٥٣.

من سورة الأحقاف

«متى نزل القرآن؟»

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

والفهم الخاطئ يتمثل فى الاستفسار كثيرا، أو الاعتراض أحيانا، على قول الله ﴿كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ يقولون: لماذا من بعد موسى، ولم يقل من بعد عيسى مع أن النبى ﷺ أرسل بعد عيسى، وليس بعد موسى، وقد أنزل الإنجيل من بعد التوراة، فلم ذلك؟!

وأقرب جواب وأوجزه: هل نزل القرآن من بعد موسى أم قبله؟ فإن كان قبله يحق الاعتراض، أما وقد نزل بعده فلا وجه للاعتراض، ويبقى الاستفسار عن ذكر موسى دون عيسى، وإن كان من قبيل العلم الذى لا ينبنى عليه تكليف، فهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

ويجاب على ذلك بما يقرب المعنى للذهن، ويسكت الألسنة الطويلة أو المتطاولة فيقال: ذكر موسى ولم يذكر عيسى، لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ ورقائق وقليل من التحليل والتحريم، وهى فى الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة، وكما ذكر فى الإنجيل على لسان عيسى «وما جئت لأنقض الناموس، بل جئت لأكمل، تزول السماوات والأرض ولا يزول حرف واحد من الناموس»(٢) فالإنجيل بمثابة جزء مكمل للتوراة، ولذلك قالوا «أنزل من بعد موسى» وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبى ﷺ بقصة نزول جبريل (عليه السلام) أول مرة فقال: بخ بخ هذا الناموس الذى كان يأتى موسى، ياليتنى أكون

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٩، ٣٠.

(٢) انجيل متى اصحاح ٥ (١٧ ـ ١٩)

فيها جذعا إذ يخرجك قومك، ولئن يدركنى يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا»[١].

كما يمكن أن يقال: لعل هؤلاء القوم كانوا على دين موسى عليه السلام، وليسوا أتباعا لعيسى عليه السلام، فتكلموا عن حالهم، لا عن تسلسل الرسالة، ولا مانع من ذلك أبدا، فيكون حالهم فى ذلك كحال يهود المدينة الذين يتكلمون عن التوراة وعن موسى، دون ذكرهم للإنجيل أو عيسى، وذلك لعدم إيمانهم بذلك، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخارى. كتاب بدء الوحى. باب كيف بدء الوحى على رسول الله ﷺ، برقم (٣)، ومسلم. كتاب الإيمان، باب بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦٠).

من سورة محمد (القتال)

«ما معنى أقفال القلوب؟»

قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١).

والفهم الخاطئ يتمثل فى هذا السؤال: وهل للقلوب أقفال؟!

والجواب أن الله تعالى أمر بتدبر القرآن وتفهمه، ونهى عن الاعراض عنه، وعبر عن ذلك الأخير بقوله ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أى بل على قلوب أقفالها فهى مطبقة لا يخلص إليها شىء من معانيه.

قال ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه رضى الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ يوما ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فقال شاب من أهل اليمن؛ بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب فى نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به».

وما الذى يحول دون ذلك، وهذا الأسلوب من أساليب القرآن البلاغية، وقد عرف أن القلب يوصف بأشياء ليست محسوسة، ولا من جنس المادة، ومثال ذلك ما وصف الله به القلب فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢) ومعلوم أن كل إنسان يحمل قلبا فى صدره، لكن الذى دلت عليه الآية هو العقل، والعقل هو العلم، والعلم محله القلب، ولذلك قال تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾(٣) وقال أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٤) ولم يختلف العلماء حول أن القلب هو مكمن المشاعر

(١) سورة محمد: ٢٤.
(٢) سورة ق: ٣٧.
(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.
(٤) سورة الحج: ٤٦.

والأحاسيس، وأنه رأس أعضاء الانسان ومواطن الإيمان والكفر، ولذلك وصف القلب ـ فى القرآن ـ بالحياة وهو القلب السليم فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١).

والموت وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

والمرض فى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٣).

والطبع فى قوله تعالى ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾(٤).

كما ذكر القرآن أسباب شفائه من الشبهات أو الشهوات أو غير ذلك. وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.
(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.
(٣) سورة البقرة: ١٠.
(٤) سورة التوبة: ٨٧.
(٥) سورة يونس: ٥٧.
(٦) سورة الإسراء: ٨٢.

من سورة الفتح

«هل أذنب النبى محمد ﷺ؟»

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١].

والفهم الخاطئ: أن الآية يوهم ظاهرها أن النبى ﷺ أذنب، وأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،

وكيف يكون ذلك مع عصمة الأنبياء والرسل؟!

والجواب: ليس الأمر كما هو متوهم من ظاهر الآية، لأن النبى عليه الصلاة والسلم لم يقع منه ذنب، وإنما خلاف الأولى بالنسبة للأنبياء، يمكن إطلاق كلمة ﴿الذنب﴾ عليه، فالعدول عما هو أصوب إلى ما هو صواب. أو ما هو أحسن إلى ما هو حسن، محل عتاب من الله تعالى لأنبيائه ورسله، وذلك على نحو ما حدث بالنسبة لأسرى بدر، أو أذن النبى ﷺ لبعض المنافقين قبل أن يتبين حالهم، أو اعراضه عن عبد الله ابن أم مكتوم وهو الأعمى، وقع فيها خلاف الأولى، فعفا الله عنه، وغفر له ذلك[٢].

---

(١) سورة الفتح: ١.

(٢)راجع ذلك بتوسع فى كتابنا «حقيقة الإيمان» جـ٢ صـ١٢٩ ـ ١٣٦.

« علام يرجع الضمير؟ »

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(١).

الفهم الخاطئ: ما سمعته من بعض أدعياء العلم الذين يتصدرون الدعوة من غير بينة، يقول أمر الله تعالى بأن نسبح الرسول ﷺ كما يجب توقيره وتعظيمه، ثم ذكر الآية!!!

وهذا الذى قال إنما أُتى من قبل جهله، وعدم معرفته بأساليب اللغة العربية،

والآيتان يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ على الخلق ﴿وَمُبَشِّراً﴾ أى للمؤمنين ﴿وَنَذِيراً﴾ أى للكافرين. ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ـ وغيره: تعظموه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الإحترام أو الإجلال والإعظام ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أى تسبحون الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أى أول النهار وآخره.

إذا الضمير فى قوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعود إلى الله عز وجل، لا إلى الرسول الله ﷺ، وذلك لأن الآية تحدثت عن الله وعن الرسول، فذكرت التعزير والتوقير، وقد عادا إلى الرسول ﷺ باعتبار الضمير يعود إلى أقرب مذكور، ثم لم تغفل الآية الكلام عن الله عز وجل فذكرت الأمر بالتسبيح وهو عائد إلى الله تعالى قطعا.

وأما قوله جل وعلا بعد ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾(٢) فهو كقوله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٣).

---

(١) سورة الفتح: ٨، ٩.

(٢) سورة الفتح: ١٠. (٣) سورة النساء: ٨٠.

من سورة الحجرات

«هل رسول الله حى لم يمت؟»

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾(١).

زعم قوم أن الرسول ﷺ حى لم يمت، وأنه يعيش بيننا، ويعرف كل شىء عنا، ينظر إلى الأمور التى تقع من وراء ستار رقيق، وقد كشفت عنه الحجب، مستدلين بهذه الآية الكريمة.

والفهم الصحيح أن هذه الآية لا تؤخذ وحدها ليستخرج منها هذا الحكم وهو جد خاطئ وخطير، كما لابد من فهم الآية فى سياقها، وهى موجهة إلى الصحابة رضوان الله عليهم توجههم وترشدهم وتقول لهم: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تبارك وتعالى، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٢).

وأما الأمر بالنسبة لنا نحن الذين لم ندرك حياة النبى ﷺ فقد وجب علينا ما وجب على الصحابة من التعظيم والتوقير والتأدب والانقياد، وكذا يجب مع سنته المتبقية لنا بعد وفاته ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(٣) قال العلماء: يرد إلى الرسول ﷺ بشخصه فى حياته، وإلى سنته بعد مماته، هذا ومن أعجب العجب أن يستدل بهذه الآية على حياة الرسول ﷺ الآن، حياة كالتى نعهدها، مع أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٤) وكذا قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾(٥) وغيرهما ويقال: إن الرسول ﷺ يعرف كل شىء عنا.

---

(١) سورة الحجرات: ٧ (٢) سورة الأحزاب: ٦

(٢) سورة النساء: ٨٣. (٤) سورة الزمر: ٣٠. (٥) سورة الأنبياء: ٣٤.

وفى كتاب الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾[١].

وفى السنة المطهرة يقال له ـ عند الحوض ـ لأناس منعوا من الشرب «**إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**»[٢] وغير ذلك، ويقال: ينظر إلى الغيب من وراء ستار رقيق أو كشفت عنه الحجب أو نحو هذا، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

كما قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأحقاف: ٩.

(٢) رواه البخارى. كتاب الرقاق، باب فى الحوض برقم (٦٥٧٦)، ومسلم فى كتاب الفضائل. باب إثبات حوض نبينا وصفاته برقم (٢٢٩٩).

(٣) سورة الأعراف: ١٨٨. (٤) سورة الأنعام: ٥٠.

من سورة ق

«ما معنى (ق)؟»

قال تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[(١)].

الفهم الخاطئ تمثل فى اسرائيليات فى معنى (ق) تثير فيك العجب.

ومن ذلك قولهم: «ق» جبل يسمى القاف، وهذا الجبل عبارة عن الآتى: لما خلق الله الأرض، جعل فى نهايتها بحرا، وفى نهاية البحر جبل على قمته السماء الدنيا، ثم خلق أرضا، ووراءها بحر، ثم وراءها جبل اسمه جبل القاف، بنيت السماء الثانية عند قمته، وهكذا أرض وراءها بحر، وراءها جبل حتى تكتمل سبع أراضين، وسبعة بحور، وسبعة جبال، كل جبل منهم اسمه (جبل القاف) كما تحكى الإسرائيليات أن الأرض محمولة على صخرة، والصخرة على قرن ملك، والملك رجلاه معلقة فى الهواء...» حكايات وأساطير!!

والحق أن (ق) حرف من الحروف المقطعة التى افتتحت بها تسع وعشرون سورة فى القرآن الكريم وعلى نحو ما أشرنا إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿طه﴾ و ﴿يس﴾.

وأفضل ما يقال فى ذلك: الله أعلم بمراده.

وكذا نستطيع أن نقول ﴿ق﴾ هو أول حرف من كلمة (قرآن) هذا الذى أعجز الله به الثقلين، وكما يقال: حروف من جنس حروفكم، وكلام من جنس كلامكم، فمن يستطيع أن يأتى بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله، ولو أن تكون كأقصر سورة من سور القرآن،

فليست ﴿ق﴾ بجبل ولا أرض ولا بحر. ولا الأرض على قرن ملك، ولا الملك معلق فى الهواء، فهذه خرافات.

---

(١) سورة ق: ١. (٢) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير.

فى سورة الذاريات

«ما معنى العبادة؟»

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الفهم الخاطئ: لقد جاءت الآية الكريمة بين أداة نفى وأداة استثناء، فأفادت الحصر، فكيف حصر الله عز وجل حياتنا فى أداء العبادة فقط؟ وهل معناها أننا خلقنا للعبادة فقط، فلا مجال لغير العبادة، فلا طعام ولا شراب، ولا نوم ولا راحة، ولا لعب ولا رياضة، ولا مداعبة زوجة أو ملاعبة ولد، فأين هذا مع انحصار مهمة الخلق فى العبادة فحسب؟!!

والجواب: أن هذا كله وغيره من العبادة إذا فهمت بمعناها الشامل والصحيح،

فكل الذى ذكر داخل فى نطاق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الأكل والشرب والنوم والجماع والتريض ورمى القوس والسباحة والرماية وركوب الخيل، ومداعبة الزوجة وملاعبة الولد، كل هذا من العبادة مع الفهم الصحيح لها، ولا بديل عن ذلك، لأن هذه الأشياء مالم تدخل فى نطاق العبادة، فلا مجال لها ولا مكان، وكذلك كل ما يخدم العبادات من الأمور المباحات هو عبادة لله، وهذا المعنى تؤيده آية الأنعام ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

فذكرت أهم العبادات «الصلاة والنسك» ثم أجملت بقية العبادات فى حياة الإنسان إلى حين مماته أيضا، بمنهج يحكمه يجب أن يكون لله.

فالعبادة لها مفهوم أشمل مما نتخيل، وأجمع مما نتصور، وقد ضرب لها النبى ﷺ أمثلة فى حديثه، فمثلا: تبسمك فى وجه أخيك صدقة،

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢.

حملك لأخيك على دابته صدقة، حملك متاعه على دابته صدقة، حتى قال: وفى بضع أحدكم صدقة، والبضع هو الشهوة والجماع، وهنا استغرب الصحابة وقالوا: يا رسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال: أرأيتم إن وضعها فى حرام، أما كان عليه وزر؟

فقالوا: بلى، فقال: فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر».

إذن، العبادة وصلت لهذا الحد الذى هو إتيان الشهوة فى الحلال، فكذلك الأكل والشرب والنوم، ومداعبة الزوجة وملاعبة الولد، ورمى القوس، وكذا اللقمة ترفعها إلى فم زوجتك، وكل ما تطعمه لأهلك، فهذا ونحوه متى ما أخلصت النية لله، وصوبت العمل وفق سنة رسول الله ﷺ فهو عبادة وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[1] كذا قال: ﴿**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾[2] وأحسن العمل أصوبه وأخلصه، وإخلاصه لله، وصوابه أن يكون وفق السنة، كما فسرها الفضيل ابن عياض رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ كقوله فى فاتحة الكتاب ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[3] فى تقديم المفعول على الفعل ليفيد الاختصاص، والاستعاضة عن الضمير المتصل بالضمير المنفصل للسبب ذاته، وذلك حتى لا يحتمل الأسلوب إضافة لغة ولا شرعا.

وشبيه بذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾[4] ولم يقل «اعبد الله» لإفادة المعنى ذاته، وهو الاختصاص، - بتقديم المفعول على الفعل -

---

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) سورة الملك: ٢.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) سورة الزمر: ٦٥.

ثم نعود فنقول: إن المباحات قد تتحول إلى طاعات أو إلى معاصى، وضابط ذلك هو النية، وصورة العمل، فإذا أخلص المرء النية وصوب صورة العمل وفق ما جاء فى السنة فهى العبادة لله تعالى.

وكذا إذا خرج الإنسان يسعى على رزقه، أو زار أخا له فى الله، أو عاد مريضا أو شيع ميتا، أو قرأ درسا أو حَضَرَّ علما، أو تلى قرآنا، فهو من العبادة من باب أولى.

ولذلك فالمسلم إذا التزم بالهدى المحمدى، صار متعبدا دائما، وأصبح من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، ولذلك يجب أن نفهم العبادة بمفهومها الشامل الذى دلت عليه الآيات، ومن خلالها استطاع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أن يضعوا تعريفا للعبادة، أخذوه من فهمهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة المطهرة، فقالوا العبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، أو البدنية والقلبية» وهو تعريف جمع فأوعى.

وتفصيل القول قد ذكر فى كتب العقيدة فليراجعة من شاء[1].

---

(١) راجع كتابنا: حقيقة الإيمان، وكذا «عقيدة المؤمن» للشيخ أبى بكر الجزائرى،

من سورة الطور

من يلحق بمن؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[١].

والسؤال: إذا كان الوالدان فى درجة عالية تلحق بها الذرية، فكيف إذا كانت الذرية فى الدرجة العليا، فهل يلحق الوالدان بالذرية أم لا؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقال بعدها ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ وهذا ليس من كسبه وإنما هو شىء آخر؟!!

والجواب على ذلك: أن الله تبارك وتعالى يخبر عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا تبعتهم ذرياتهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقر عين الآباء بالأبناء، عندهم فى منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوى بينه وبين ذاك، ولهذا قال ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ رواه ابن جرير وأبى حاتم، وروى ابن أبى حاتم... عن ابن عباس فى الآية، قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإذا كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوها شيئا»

وروى الطبرانى عن ابن عباس - أظنه عن النبى ﷺ - قال: «إذا

---

(١) سورة الطور: ٢١.

دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فقال إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول يارب قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ....﴾ الآية[١].

فهذا فضل الله تعالى على الأبناء ببركة الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، روى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضى ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وهو مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا»[٢].

---

(١) حديث حسن: رواه السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ١١٩) والهيثمى فى تلمجمع (٧/ ١١٤) والهندى فى كنز العمال برقم (٣٩٣٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢٤١، ٢٤٢ بتصرف.

من سورة النجم

«ما هى الغرانيق؟»

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾(١).

والفهم الخاطئ مرتبط بما يعرف هنا بقصة الغرانيق التى زعمت أن النبى ﷺ لما قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ قرأ بعدها: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»

فقال المشركون: ما رأيناه يمتدح آلهتنا كما امتدحها قبل اليوم!!

ودعموا كلامهم هذا برواية صحيحة فى حديث البخارى «أن النبى - عليه الصلاة والسلام - لما قرأ سورة النجم فأتمها، سجد النبى ﷺ فسجد معه المسلمون والمشركون»

فقالوا: ما دام سجد المشركون، فسجودهم لأنه عليه الصلاة والسلام امتدح أصنامهم!!

وقد أخذت قصة الغرانيق مجالا مطولا فى التصويب والتخطئة والأخذ والرد، بين المستشرقين والمستغربين، وبين بعض طلبة العلم المتنطعين، مع السجالات والمناظرات!!

والغريب أن المفسرين أوردوا كل الروايات التى ذكرت فى قصة الغرانيق، وحاولوا أن يقووا بعضها ببعض وقد راموا تصحيحها، ومنهم من وضع لها أسانيد صحيحة!!

نقول: الأمر ليس كذلك ألبته، فكل أحاديث قصة الغرانيق التى وردت مرسلة فهى من الضعيف، ويذكر أنها اخترعها قوم كانوا ينتسبون إلى الخوارج وكثرت فيهم، وأنها منكرة، وما رفع منها إلى النبى ﷺ

---

(١) سورة النجم: ١٩ - ٢٢.

فهو موضوع، مكذوب على رسول الله ﷺ.

ثم نقول: هل يصح المدح والذم فى آن واحد، بحيث يقرأ النبى ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ .وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ .تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ الآيات. مع مدحه لهذه الأصنام فى نفس السياق،

فما هذا التناقض؟ أيعقل هذا أن يقوله عاقل، فضلا عن أن يتفوه به سيد العقلاء والبلغاء، ويسمعه أهل اللغة والبلاغة ولا يمجونه؟! ثم كيف يقع هذا مع نبى من الأنبياء عصمه الله؟ عصمه من همزات الشياطين، وأن يحضروه، فكيف يتكلم الشيطان على لسانه؟!

وهذا الشيطان يقسم بعزة الله على عدم اغواء المخلصين **﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾**

ومحمد ﷺ على رأس المخلصين، كما إنه إمام الموحدين، فكيف يمتدح أصنام المشركين؟!

والشيطان ليس له سلطان على العباد المخلصين من غير المعصومين، فكيف بالأنبياء المعصومين؟!

هذا فضلا عن أن كلمة الغرانيق، لم تطلق على أصنامهم، وإنما يقال إن الغرنوق اسم لطائر مائى أسود أو أبيض!!

فالقصة اسرائيلية مكذوبة، وفيها اتهام صريح للنبى ﷺ، واعتقادها يورث الكفر والعياذ بالله[1].

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٤٤٢ ـ ٤٥٤بتصرف.

من سورة القمر

«ما معنى قرب الساعة؟»

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾(١).

الفهم الخاطئ لمن يقول: مضى ما يزيد على أربعة عشر قرنا منذ أن نزلت هذه الآية، ولم تقم الساعة بعد، كما قال قوم: لم ينشق القمر، وإنما معناه سينشق مع قيام الساعة، فهو باعتبار ما سيكون!! كما ذكره قوم.

والحق الذى نعلمه: أن الله تبارك وتعالى يخبر عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(٢) وقال ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾(٣) وقد وردت الأحاديث بذلك، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق فيها إلا سف يسير، فقال: «والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه» وما نرى من الشمس إلا يسيرا»(٤) وقد قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» وفى رواية «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، إن كادت لتسبقنى «وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى»(٥).

فالساعة قد اقتربت ـ كما بين الله تعالى، وبين رسوله ﷺ ـ ولكن ليس القرب بمقاييسنا نحن، وإنما ذلك بمقياس الأيام عند الله تعالى ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فمضى ألف وخمسمائة سنة،

---

(١) سورة القمر: ١، ٢. (٢) سورة النحل: ١.

(٣) سورة الأنبياء: ١. (٤) رواه البزار وابن حبان.

(٥) رواه البخارى (٤٩٣٦)، (٥٣٠١)، (٦٥٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٥٠)، (٢٩٥١).

معناه يوم ونصف، وبقاء أيام معدودة من أيام الله، هى فى علم الله، معناه القرب بالنسبة لما سبق، وذلك واضح.

وأما قول من قال: إن القمر لم ينشق قبل، وإنما سينشق مع الساعة، فهذا تأويل باطل، وقول مردود، فقد ثبت بالتواتر أمر انشقاق القمر، معجزة للنبى ﷺ، ودليله واضح وصريح فى هذه الآية الكريمة ويؤكده ما جاء فى السنة أيضا، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما»[1].

وقال البخارى عن ابن عباس قال: «انشق القمر فى زمان النبى ﷺ»[2] وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر ورأوا شقيه»[3].

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه، فخطب حذيفة فقال: ألا إن الله يقول ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق...»[4] هذا وهناك عدد من الأحاديث بلغ مبلغ التواتر. بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أى انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[5].

●●●●●●

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) البخارى: كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية. برقم (٣٦٣٦)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر برقم (٢٨٠٠).

(٣) رواه ابن جرير.

(٤) رواه ابن جرير.

(٥) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢٦١ بتصرف.

من سورة الرحمن

«هل نحن مسئولون؟»

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾(١).

فى حين قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾(٢) فكيف يتفق هذا مع ذاك؟

قال المستشرقون: إنها تحمل معنى التناقض، فآية تنفى السؤال، والأخرى تثبته.

والجواب: ليس الأمر كما زعموا، فجهل المستشرقين باللغة وبمدلولاتها أوقعهم فى مثل هذه الأخطاء التى قاموا يحاربون القرآن بزعم أنه يحمل تناقضا فى بعض آياته.

والحق أنه ليس ثمة تناقض، فهناك فارق بين سؤال وسؤال، بين سؤال للعلم، وسؤال للإقرار، فسؤال العلم يسمى سؤال، وأما السؤال التقريرى فيحمل معنى السؤال فى حقيقة الأمر، بمعنى إذا سأل التلميذ الأستاذ فإن التلميذ يريد أن يتعلم من الأستاذ، وأما إذا سأل الأستاذ التلميذ، فهل يسأله ليتعلم؟ الإجابة: لا، وإنما يسأله ليقرر حقيقة. فالسؤال هنا فى غير بابه، إذاً هناك سؤال للعلم، وهذا منفى فى الآية الكريمة ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ أى لا يسألون سؤال علم، لأن الله عز وجل علم منهم كل شىء، فلمَ يسئلهم، وهو أعلم؟ فنفى سؤال العلم. ولكن فى مجال الإنكار والتكذيب. يكون السؤال هو الفيصل، فمثلا يقول لك الطالب: لو سألتنى سأجيبك، فتسأله لتقرير الحقيقة، ليتضح صدقه من كذبه.

فوزارة التربية والتعليم عندنا مثلا، إذا عملت امتحانات للطلاب،

---

(١) سورةالرحمن: ٢٩ (٢) سورة الصافات: ٢٤.

فليس ذلك لأخذ الإجابات والتعلم منها، وإنما لتكون إجابة الطالب حجة له أو عليه، تقريرًا للحقيقة ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١] فهناك من الناس من ينكر الحقائق ويجادل فيها فيسأل ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾.

كالذى يقول الله له: أى عبدى، أأنت فعلت كذا وكذا، يقول: ما فعلت، فهذا يتم سؤاله ويتم الإشهاد عليه لتقرير الحقيقة، ومثل هذا السؤال إنما هو لإقامة الحجة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ فهناك فارق بين سؤال عن العلم، وهذا منفي، لأن الله قد علم. وهو قول الله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وبين سؤال لتقرير الحقيقة وإقامة الحجة على الخلق، وفيه قال الله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ والله أعلم[٢].

فقوله تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ كقوله ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٣] فهذا فى حال وذاك فى حال، ولهذا قال قتادة فى الآية ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤] قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فقال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا، فهذا قول ثان[٥].

---

(١) سورة الإسراء: ١٤. (٢) تفسير الشيخ الشعراوى.
(٣) سورة المرسلات: ٣٥، ٣٦. (٤) سورة الحجر: ٩٢، ٩٣.
(٥) تفسير ابن كثير جـ٤، صـ٢٧٥ بتصرف.

سورة الواقعة

«من هم الآخرون؟»

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ . عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ .لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ .جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

والفهم الخاطئ فى معنى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ فكيف تكون أمة النبى محمد ﷺ وهى أكثر الأمم وأقربها إلى الله، أمة يقل مقربوها أو سابقوها، مع أنه قد ورد أنهم أكثر أهل الجنة؟!

ثم لماذا يشربون الخمر فى الجنة مع أن الله حرمها فى الدنيا، ولو كان فيها خير ما حرمها فلم يشربوها؟ ولماذا قال الله ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع بدلا من عطفها على سابقها بالجر؟ ولماذا جعل للرجال حورا،

ولم يجعل للنساء من الرجال من هو بتلك الصفات؟!!

هكذا يسأل البعض، ويتشدق آخرون، ويبحثون عن غوامض العلم، وما خفى من الحكمة، ولكن يجاب على ذلك بما يقرب الأمر إلى الأذهان، حتى لا ندع مجالا لوسوسة الشيطان، فنقول ـ وبالله التوفيق: أن أصح ما ورد فى معنى الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ أن هذا خاص بهذه الأمة، وأن الأولين هم النبى محمد ﷺ وأصحابه، والقرون المشهود لها بالخير، وأن الآخرين من جاء بعدهم، ممن يقل فيهم من يكون من السابقين المقربين.

وحتى لو أريد بالأولين الأمم الماضية، فلابد من نظرة إلى مجموع

---

(١) سورة الواقعة: ١٠ ـ ٢٤.

هذه الأمم فى أزمانهم المتفاوتة، وهذه الأمة التى جاءت فى آخر الزمان بين يدى الساعة، ومع ذلك فقد بشرها النبى ﷺ بأن تكون نصف أهل الجنة أو تزيد.

وأما لماذا يشربون الخمر فى الجنة مع أن الله حرمها فى الدنيا. فلأن هذه ليست من جنس تلك، وإنما هو الاشتراك فى الاسم فقط، وكل نعيم الجنة قد ذكر باسمه المعروف فى الدنيا، إنما هى الأسماء فقط دون المسميات، ثم هى خمر ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ ليس فيها صداع رأس، ولا ذهاب عقل، وما كان كذلك لا يكون حراما حتى فى الدنيا، وأما خمر الدنيا فكما تعلم، ولذلك عوقب شاربها فى الدنيا بالحرمان منها فى الآخرة.

وأما لماذا قال الله ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع، فنقول: وقرئ بالجر أيضا، وتوجيه قراءة الرفع تقديره ﴿ولهم فيها حُورٌ عِينٌ﴾ وقد ذكر من الحكمة أنها رفعت كالمبتدأ الذى له الصدارة لأهميته، فلم تعطف على الفاكهة واللحم، لأنها أفضل من ذلك وأعظم.

وأما لماذا جعل الله للرجال حورا، وليس كذلك للنساء، فهو كما يجوز للرجل أن يعدد الزوجات فى الدنيا، ولا يجوز للمرأة أن تعدد الأزواج، والحكمة فى ذلك واضحة، ثم إن الأزواج بالنسبة للزوجات كالحور العين، والنعيم مكتمل، والمتعة قائمة، واللذة قد بلغت حدها، فما شكوا ذلك إلينا، ولا يوجد فى الجنة ما يوجد فى الدنيا[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢٨٤ ـ ٢٨٨ بتصرف.

سورة الحديد

«كيف أنزل الله الحديد؟»

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[١].

قال قوم: كيف أنزل الله الحديد؟ ولماذا لم يقل خلقنا الحديد، بدلا من أنزلنا؟!!

والجواب: أن ذلك من جنس ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ فإن كان لنزول الكتب وجه تتصوره، فكيف أنزل الميزان؟ وقد قال تعالى أيضا ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٢] وكذا يقال: ترد ﴿أَنزَلْ﴾ بمعنى ﴿جعل﴾ فى مثل قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٤] وهنا قوله ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أى وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله بعد الهجرة أمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف بالقرآن وكذب به وعانده[٥].

هذا وإن كان هذا الكلام للمفسرين القدامى، فإن الآية تحتمل معنى آخر، هو لون من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، وهو أن الحديد تتكون مادته فى العلو، ثم تتنزل بالفعل، ويكون معنى ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ على حقيقته[٦] والله أعلم.

---

(١) سورة الحديد: ٢٥. (٢) سورة الرحمن: ٧. (٣) سورة الأعراف: ٢٦.
(٤) سورة الزمر: ٦. (٥) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٣١٤ بتصرف.
(٦) راجع بتوسع: الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم، للشيخ عبد المجيد الزندانى.

في سورة المجادلة

«هل تجوز مودة الكافرين؟»

قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1].

وقال تعالى في سورة لقمان ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

الفهم الخاطئ: قال قوم من المستشرقين ومن لف لفهم: كيف يأمر الله بشيء وينهى عنه؟ ففي آية لقمان أمر الله عز وجل بطاعة الوالدين وإن كانا مشركين، وأمر ببرهما والإحسان إليهما، ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف، وقد نهى عن ذلك في سورة المجادلة فحرم ودهما ومحبتهما، وقد نزلت فيمن قتل أباه، ومن أراد أن يقتل ابنه، ومن قتلوا إخوانهم وعشيرتهم.

وقد ظنوا أن هذا من التناقض في كتاب الله تعالى!!

والجواب: ليس هذا من التناقض في شيء - وحاشا لكتاب الله تعالى - وإنما هو جهل القوم باللغة، كما جهلوا معالم الدين، فالمعروف الذي أمر الله عز وجل به - في سورة لقمان - شيء، والود الذي نهى عنه - في سورة المجادلة - شيء آخر، مختلف تماما عن المعروف.

فالمعروف تصنعه مع من تحب ومع من لا تحب، أما الود فلا يكون إلا لمن تحب.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة لقمان: ١٤، ١٥.

فقد تخرج من المسجد وتلقى فقيرا، لا تربطك به صلة ولا تعرفه من قبل، فيسألك حسنة فتصنع به معروفا، وأنت فى نفس الوقت لا تعرفه ولا تحبه» إذا تصنع المعروف مع من تعرف ومن لا تعرف، ومع من تحب ومن لا تحب، ومع أهله وغير أهله، فهذا المعروف، بخلاف الحب أو الود الذى ينحصر فى أهل الإيمان، ونهى الله عنه مع الكافرين والمشركين، ولو كانوا الوالدين أو أقرب الأقارب، وقد ظهرت منهم محادة الله ورسوله.

فضابط الحب فى الإسلام كما قال تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ وكذا قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[١] كما قال النبى ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر ـ بعد إذ أنقذه الله منه ـ كما يكره أن يقذف به فى النار»[٢].

إذًا المعروف شىء والود شىء آخر، والله تعالى قد أمر بالمعروف مع الوالدين بمثابة رد الجميل لوالدين ربياك فى الصغر، وأعاناك على الحياة حتى كبرت، فآمنت بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وأبيا إلا الشرك، فقمت بنصحهما ودعوتهما، وحضهما على الإسلام، فإن أبيا فأنت على دينك ولا تكرههما عليه، ولكن هذا لا يمنعك بأن ترد

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) رواه البخارى، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان باب بيان خصال الإيمان برقم (٤٣).

الجميل بصنع المعروف، دونما يكون لهما أدنى حب فى قلبك، أو ود فى فؤادك، ولكن تصنع لهما المعروف الذى أمر الله به ﴿**وصاحبهما فى الدنيا معروفا**﴾ ويبقى الحب لله وفى الله، على نحو ما بينت الآيات والأحاديث، لأن قلب المؤمن الذى امتلأ بمحبة الله، وبمحبة المؤمنين، لا يحتمل أبدا محبة لكافر، وإذا كان الله تعالى لم يجعل للإنسان قلبين فى جوفه، فمعناه إذا أحب كافرا فلم يبق فيه حب الله ولا رسوله ولا المؤمنين، وهذا ضرب من الكفر والعياذ بالله تعالى، ولذلك لما تمركز الإيمان فى قلب أصحاب النبى محمد ﷺ وأيدهم الله بروح منه، فسيطر عليهم حب الله وحب رسوله وحب الجهاد فى سبيله، فلم يبْق مكانا لحب كافر ولو كان من كان، حتى الوالدين، فامتدحهم الله على ذلك، بالآية التى بين أيدينا ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُون...**﴾ الآية وإن كان هذا لا يمنع من صنع المعروف مع آبائهم أو غير آبائهم، لكن إذا جاهداك على أن تشرك بالله، وحرصا على أن تتبعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ورضى الله عن سعيد بن مالك قال: أنزلت فىَّ هذه الآية: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا**﴾ الآية»

قال: كنت رجلا برا بأمى، فلما أسلمت، قالت يا سعد: ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى، فيقال يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلى يا أمه، فإنى لا أدع دينى هذا لشىء، فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك، قلت يا أمة تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشىء، فإن شئت فكلى وإن شئت لا تأكلى، فأكلت»[1].

فأين التناقض؟

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبى وقاص برقم (١٧٤٨).

سورة الحشر

«ما معنى خشوع الجبل وتصدعه؟»

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

والفهم الخاطئ، يتمثل فى عدم فهم هذه الآية بمعناها الحقيقى، وسؤال الناس عن كنه ذلك، وكيف يكون، ويتخيل لو أنه وضع مصحفا على جبل شاهق يتفتت، ويحاول أن يفعل ذلك فلا يجد خشوعا ولا تصدعا ولا تفتتا!!

وجوابنا: أن هذا هو الجهل بعينه، وعدم معرفة أساليب اللغة، وبلاغة القرآن، وتدبر كلام الرحمن، جل وعلا، ذلك أن الآية ضرب مثل.

وقد أراد الله تعالى أن يقول: إذا كان الجبل فى غلظته وقسوته لو فهم هذا القرآن. فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه، ولهذا قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

كما قال ابن عباس فى الآية: لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع. ثم قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وكذا قال قتاده وابن جرير.

وقد ثبت فى الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد

---

(١) سورة الحشر: ٢١.

كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبى الذى يُسكَت، لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده» ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع. وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ** ...﴾[1] الآية أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾[2] أ. هـ[3].

فهو بيان علو القرآن وتعظيم أمره، وإنه ينبغى أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد.

---

(١) سورة الرعد: ٣١.

(٢) سورة البقرة: ٧٤.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٣٤٣ بتصرف.

سورة الممتحنة

«هل تجوز موالاة الكافرين؟»

قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١].

هذه الآية الكريمة فهمت فهما خاطئا نظريا وعمليا فى حياة المسلمين وواقع الناس!!

فظن قوم أن الله تعالى أباح لنا موالاة الكافرين وموادتهم، والأنس بهم مع محبتهم!!

وليس الأمر كذلك، فإن الله تعالى قد نهى عن موالاة الكافرين بأسلوب صريح فى كتابه، وقد تكرر ذلك فى غير آية، ومنه قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢] وكذا قوله جل وعلا ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٣].

وقد أراد الله تبارك وتعالى فى الآية الكريمة، التى نحن بصددها ـ أن يبين لنا: لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم ولم يظاهروا أى يعاونوا على إخراجكم كالنساء والضعفة منهم ﴿أن تبروهم﴾ أى تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أى تعدلوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وهذا أمر بخلاف ذاك الولاء والحب والمودة، ولذلك قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.
(٢) سورة المائدة: ٥١.
(٣) سورة آل عمران: ٢٨.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وهذا سبب النزول يبين معنى الآية . وقد روى الإمام أحمد عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قال: قدمت أمى، وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمى قدمت وهى راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلى أمك» وقد أخرجاه.

وفى رواية: فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ الآية[2].

فالآية ترخص فى أمور ليست من جنس الموالاة ولا الذلة أو نحو ذلك مما عليه الناس.

كما يجوز للرجل أن يحسن الكلام مع من يدعوه من أهل الكتاب، أو يقدم له هدية، أو يدعو له بالهداية ونحوها، وكذا يهنئه فى نعمة، ويواسيه فى مصيبة كحق من حقوق الجيران مثلا.

---

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين برقم (٢٦١٩)، وفى كتاب الأدب المفرد برقم (٢٥)، ورواه مسلم فى كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين برقم (١٠٠٣).

سورة الصف

«من هو أحمد؟»

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

والفهم الخاطئ: أنه قيل للنصارى، لمَ لمْ تؤمنوا بالنبى محمد ﷺ، وقد بشر به عيسى عليه السلام؟

قالوا - حسب القرآن - بشر بنبى اسمه أحمد، ولم يبشر بمحمد، فنحن ننتظر النبى أحمد!!!

والجواب: أن محمدا ﷺ هو أحمد، وأحمد هو محمد ﷺ وهو النبي العربي والأمي المكي ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

وهو النبي الذي: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

وهو كما قال ﷺ عن نفسه: «إن لى أسماءً، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر، وأن الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب فلا نبى بعدى»[4].

وعن أبى موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر والمقفى، ونبى الرحمة

---

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) متفق عليه. فهو فى البخارى كتاب المناقب باب من أحب ألا يسب فسبه (٣٥٣١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة. باب فى فضائل حسان بن ثابت برقم (٢٤٨٧)، (٢٤٨٩).

والتوبة والملحمة»[١].

وعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال: أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام»[٢].

(١) رواه مسلم فى كتاب الفضائل. باب فى أسمائه ﷺ برقم (٢٣٥٩).
(٢) رواه أبو اسحاق بسند جيد، ورواه أحمد بنحوه.

سورة الجمعة

«ما معنى الأمية فى القرآن؟»

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[١].

والفهم الخاطئ: ظن قوم أن كلمة ﴿ الأُمِّيِّين﴾ تعنى المفهوم السائد فى عصرنا الآن، أى الجهال، فراح يحرم التعليم، بهذا المعنى، وآخرون فهموها بمعنى العرب - وهو صحيح - لكنهم حصروا الرسالة فيهم، وكلاهما فهم خاطئ للآية الكريمة.

والحق أن قوله ﴿ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ هم العرب، كما قال تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ الآية[٢].

ولايراد بها الجهل، وإنما هى كالعَلَمَ عليهم، وتفرقة بينهم وبين غيرهم، لأنهم ليسوا أصحاب كتب سابقة، ولا ثقافات معروفة، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم، لكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[٣].

وهو ذكر لغيرهم أيضا. وكقوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٤] وهذا وأمثاله لا ينفى عالمية الدعوة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٥]

---

(١) سورة الجمعة: ٢.
(٢) سورة آل عمران: ٢٠.
(٣) سورة الزخرف: ٤٤.
(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.
(٥) سورة الأعراف: ١٥٨.

فى سورة المنافقون

«ما الفرق بين الشهادة والمشهود له؟»

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(١).

والفهم الخاطئ: قال المستشرقون: إن الله عز وجل بين أن المنافقين شهدوا للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه رسول الله، وقد علم الله بأنه رسوله، وفى ذات الوقت شهد الله بأن المنافقين لكاذبون، مع أن الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع، فى الوقت الذى علم الله فيه أن محمدا رسول الله، وقد شهد المنافقون بذلك، ولكن الله أكذبهم، أليس هذا من التناقض؟

كيف يقولون: نشهد إنك لرسول الله، وربنا يعقب على هذه الشهادة بقوله: والله يعلم إنك لرسوله، وفى ذات الوقت يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون؟ كيف ذلك؟ هذه هى الشبهة!!

يعنون أنه كان أولى أن يصدق الله تلك الشهادة، لأن محمداً رسوله فعلا وحقا وصدقا، ومع ذلك قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾!! قالوا: هو تناقض عجيب!!

وجوابنا: نقول: هذا قولهم، وذاك زعمهم، الذى نشأ عن جهلهم، وربما عن مكرهم، إذ أراد الله عز وجل أن يفرق بين شهادة ومشهود له.

فالمشهود له بأن محمدا رسول الله، فتلك قضية صحيحة ١٠٠٪، وصادقة بكل المقاييس، وقد علم الله ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وشهد الله به ﴿وكفى بالله شهيدا﴾.

وأما الشهادة، فإن المنافقين لما شهدوا تلك الشهادة فقد كانوا كاذبين

---

(١) سورة المنافقون: ١.

فى شهادتهم، فهم لم يقولوها صدقا ولا اعتقدوها حقا، وإنما تظاهروا بها دون صدق أو يقين، ودون أن تكون عن إذعان وإقرار، فهم بذلك كاذبون فى شهادتهم، فالشهادة هى الكذب، وأما المشهود له فقد دلت الحقائق، ودلت الآية على أنه رسول الله، كما تمت الشهادة بذلك، وسبق به علم الله تعالى.

إذاً هناك فارق بين شهادة ومشهود له. أما المشهود له: ﴿**إنك لرسول الله**﴾ تؤكدها الآية ﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾.

ولكن فى قولهم: نشهد، هم كاذبون، ولذا قال: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ أى فى شهادتهم التى كانت باللسان، ولم تكن بالجَنَان، ولذلك فعظمة الآية أن تأتى تلك الجملة الاعتراضية ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ**﴾ لتؤكد صحة المشهود له وصدقه، فى ذات الوقت تبين كذب شهادة المنافقين، فما أجمل أسلوب القرآن، وما أعظم القرآن، وفيه من الجمال والجلال ما فيه[(١)].

(١) خواطر وتأملات الشيخ الشعراوى.

سورة التغابن

«كيف يكون الأزواج والأولاد أعداءاً ؟»

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

والفهم الخاطيء يتمثل فى أناس عجز فهمهم عن فهم هذه الآية، وكيف يكون الأزواج والأولاد أعداء، وكيف يحذرهم الزوج أو الأب؟

والصواب أن الله تعالى يخبر عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

ولهذا قال تعالى ههنا﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾قال ابن زيد: يعنى على دينكم.

وقال مجاهد: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبة إلا أن يطيعه.

وروى ابن حاتم بسنده عن ابن عباس أنه سأله رجل فى هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

---

(١) سورة التغابن: ١٤. (٢) سورة المنافقون: ٩.

(٣) أخرجه الترمذى فى التفسير(٣٣١٧) وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى برقم(٢٦٤٢).

وقوله تعالى بعدها﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١).

يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، وقوله تعالى﴿ **والله عنده**﴾ أى يوم القيامة﴿ **أجر عظيم**﴾ كما قال تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ....﴾(٢).

---

(١) سورة التغابن ١٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٤، ١٥.

سورة الطلاق

هل خلق الله سبع أراضين؟

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[١].

والفهم الخاطىء يتمثل فى أن آيات القرآن تذكر السموات جمعا، والأرض مفردة، فيفهم منها أن السموات سبع، والأرض واحدة، ولكن هذه الآية تقول﴿ **ومن الأرض مثلهن**﴾ أى سبع أراضين، فهل هى سبع أراضين أم أرض واحدة؟!

والجواب على ذلك أن الذى نعلمه يقينا أن الله عز وجل خلق سبع سموات وسبع أرضين، كما دلت عليه الآية هنا، ولا تنافى مع بقية الآيات التى تعبر عن الأرض كاسم جنس، وليس اسم علم أو مفرد.

وفى السنة ما يصرح بذلك، ففى الصحيحين قال ﷺ: « **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**»[٢]، وفى صحيح البخارى: «**خسف به إلى سبع أرضين**»[٣].

وقد روى فى السنة ما يدل على كثافة كل واحدة منهن وما بينهن بخمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا فى الحديث الآخر: «**ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة**»[٤].

وأما الزعم بأن عباس قال: سبع أرضين، فى كل أرض نبى كنبيكم، وآدم كآدم ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، فهذا لم يصح وهو شاذ[٥].

---

(١) سورة الطلاق: ٢.   (٢) أخرجه البخارى فى المظالم(٢٤٥٣) ومسلم فى المساقاة(١٦١٢).

(٣) أخرجه البخارى فى المظالم(٢٤٥٤)

(٤) أخرجه ابن حبان فى الموارد(٩٤) وابن عساكر فى التاريخ(٦/ ٣٥٦) والبيهقى فى الأسماء والصفات(٤٠٤ ,٤٠٥) وابن الجوزى فى زاد المسير(١/ ٣٠٤).

(٥) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٣٨٥ بتصرف.

سورة التحريم

كيف حرم الرسول ما أحل الله له؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

والفهم الخاطىء: يتمثل فى الآخذ بظاهر العبارة فيقال: كيف حرم النبى ما أحل الله له وهذا أمر عظيم، والتحليل والتحريم حق الله تعالى وحده؟!

والجواب: بأن الأمر ليس على نحو ما فهموا أو زعموا، فإن أساليب اللغة حمالة وجوه، ومنها المبالغة أو الكناية أو التعريض والنبى ﷺ لم يحرم شيئا إلا ما حرم الله تعالى، كما لم يحل إلا ما أحله الله، وما حدث - وكان سببا فى نزول هذه الآية - أن النبى ﷺ أراد أن يمتنع عن أمر هو فى أصله حلال، وذلك من باب الصلح وترضية أزواجه فأقسم على عدم اتيانه، فعاتبه الله فى ذلك.

وقد ذكر فى ذلك معنيان، الأول ما رواه ابن جرير الطبرى بسنده أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم«مارية القبطية» فى بيت بعض نسائه، فقالت: أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى؟! فجعلها عليه حراما، قالت: أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾(٢). الآية

والمعنى الثانى مارواه البخارى بسنده عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير، إنى أجد منك ريح مغافير، قال: لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن

(١)سورة التحريم: ١.

(٢) رواه ابن جرير الطبرى

أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا»[١].

والمغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة.

وقد يقال إنهما واقعتان، ولا بعد فى ذلك إلا أن كونها سببا فى نزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى التفسير(٤٩١٢) ومسلم فى الطلاق(١٤٧٤).

«هل تخون زوجة النبى ؟»

٢ـ قال تعالى﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١].

والفهم الخاطىء: فى تفسير معنى الخيانة بالخيانة الزوجية. والوقوع فى الفاحشة والصواب بأنه ليس المراد بقوله﴿ فخانتاهما﴾ فى فاحشة بل فى الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء وعن ابن عباس يقول فى هذه الآية: ﴿فخانتاهما﴾ قال: مازنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه، وعنه أيضا، كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فاذا آمن مع نوح أحدٌ أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبى قط، إنما كانت خيانتهما فى الدين.

وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم[٢].

---

(١) سورة التحريم: ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ بتصرف.

سورة الملك

ما معنى: أأمنتم من فى السماء؟

قال تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾(١).

والفهم الخاطىء يتمثل فى تأويل هذه الآية كمن تأولوا الأسماء والصفات فزعموا فى تفسير الآية: أأمنتم من فى السماء أمره أو عرشه، ومن فى السماء حكمه وملائكته!!

وكذلك من فهم الآية بحرفيتها، يزعم أن السماء ظرف، والذات الألهية مظروف ثم يسأل وكيف يحيط المخلوق بالخالق؟!

والجواب الصحيح: أن الأمر ليس كذلك.

فنحن نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ونعلم بأن الله عز وجل مستو على عرشه، وعرشه فوق جناته، وجناته فوق سمواته، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه سبحانه وتعالى قريب فى علوه، عليٌّ فى قربه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، كل ما خطر ببالك، فالله بخلاف ذلك.

فسبحانه ليس العرش يحمله، ولا الكرسى يسنده.

بل العرش وحملته، والكرسى وعظمته، الكل محمول بقدرته، محمول بعظلمته، محفوف بإرادته.

فالإيمان بأن الله عز وجل له صفة العلو، وأنه العلى الأعلى هذا مذهبنا، وقوله: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ فى بمعنى على أى على السماء، لأنه يجب الإيمان بأن الله مستو على عرشه والعرش فوق سماواته، ومن زعم بأنه لا يدرى هل الله عز وجل مستوٍ على عرشه أم لا، ولا يدرى أين العرش؟ فهذا يحتاج إلى تصحيح عقيدته(٢).

---

(١) سورة الملك: ١٦

(٢) راجع بتوسع رسالتنا: عقيدتنا فى الأسماء والصفات: عقيدة السلف الصالح، للمؤلف.

سورة القلم

ما معنى ﴿ نون﴾؟

قال تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١].

والفهم الخاطىء لهذه الآية هو: ما ذكرته الإسرائيليات فى تفسيرها.

فزعموا أن ﴿ن﴾ هو الحوت الذى على ظهره الأرض، ويسمى «اليهموت» [٢] وأنه إذا اضطربت تحركت الأرض وتزلزلت.

وهو كقولهم أن الأرض على صخرة، والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه، تحركت الصخرة.

والصواب أن هذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل، والتنقيص من شأن هذا القرآن.

إذ لا يصح من ذلك شىء. ماعدا كونه من حروف الهجاء التى فى فواتح السور، من أمثال: **[ق،ص، وألم، وحم...الخ]** فهى أسماء مسمياتها الحروف الهجائية، لتكون بمثابة الدليل على إعجاز القرآن كأن الله قال: إن القرآن مكون من جنس هذه الحروف، ومن كلمات من هذه الحروف، وقد تحدى به النبى ﷺ الإنس والجن فعجزوا، وما ذلك إلا لأنه ليس من كلام بشر، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر.

●●●●●

---

(١) سورة القلم: ١.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٤٢٨، ٤٢٩ بتصرف.

ما معنى الساق ؟

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾(١) .

والفهم الخاطىء فيمن تأول هذه الآية، ونفى﴿ الساق﴾ عن الله عز وجل وعبروا عن ذلك بأنه يوم عصيب يكشف فيه عن أمر فظيع شديد فى غاية الهول والشدة وكما روى ابن عباس بأنه هو يوم القيامة يوم كرب وشدة .

والصواب هو ما فسرها به النبى ﷺ فقال : «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا**» . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور(٢) .

فهنا أثبت الحديث أن لله عز وجل ساقا كما ذكر فى الحديث أيضا : «فيضع رب العزة جل وعلا قدمه فى النار فتقول قط قط»أى أكتفيت أكتفيت»(٣) .

ويكون ما نعتقده فى هذا كسائر ما نعتقده فى الأسماء والصفات وإن كان هذا لا يتنافى مع قول ابن عباس إذ يقول عن يوم القيامة هو يوم كرب وشدة، مع فظاعة الهول يوم القيامة .

لكن يكمن الخطأ فى نفى صفة تثبت لله عز وجل صرح بها فى الحديث «يكشف ربنا عن ساقه . .» فيجب أن نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسول الله ﷺ، مع تفويض الكيفية لله عز وجل، بما يتفق مع ذات الله وجلاله وكماله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤) .

---

(١) سورة القلم : ٤٢ (٢) أخرجه البخارى فى التوحيد(٧٤٣٩) ومسلم فى الإيمان(١٨٣) .

(٣) أخرجه البخارى فى التفسير(٤٨٤٩) ومسلم فى الجنة(٢٨٤٨) .

(٤) سورة الشورى : ١١ .

«سورة الحاقة»

ما هى الأذن؟

قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(١).

الفهم الخاطىء: هو نفسير كاذب من تفسيرات الشيعة بأن المراد بها أذن على، ورووا أن النبى ﷺ لما نزلت الآية أخذ بأذنه، وقال: هى أذنك يا على، وفى رواية: «سألت ربى أن يجعلها أذن على»(٢).

وهذا لم يصح، بل هو من الموضوعات كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الأئمة.

والصواب: أن الآية تحدثنا عن كل إنسان عنده وعى وعقل، ويسمع ويفهم ويتدبر، فهذه اذن واعية، عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله، أو من كان له سمع صحيح، وعقل رجيح، وهذا عام فى كل من فهم ووعى(٣).

---

(١) سورة الحاقة: ١٢.

(٢) أخرجه الطبرى فى التفسير(٢٩/ ٣٥) وأورده ابن كثير فى التفسير(٤/ ٤١٣) والهندى فى الكنز(٣٦٥٢٦) وهو حديث مرسل.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص٤٦٨ بتصرف وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٤١٣ بتصرف.

سورة المعارج

«هل هو مشرق ومغرب أم مشارق ومغارب؟»

قال تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[١].

والفهم الخاطىء يتمثل فيمن قرأ قوله تعالي: ﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾[٣].

مع هذه الآية، ولم يستطع أن يوفق بينهم.

فسأل المسلم: لماذا وردت مفردة ومثناة، وجمعا؟

واعترض الكافر وقال: أليس هذا من التناقض؟

والصواب أن الأمر ليس فيه أدنى تناقض، بل الأمر يسير، ومعروف، فإذا قال الله تعالى: ﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ فمعناه مشرق هذا الكون ومغربه، أو هو جنس المشارق والمغارب. والذى يهيمن عليه هو الله. وإذا قال﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فإنه يعنى مشرقي الصيف والشتاء، ومغربى الصيف والشتاء.

فإذا قال: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها فى كل يوم وبروزها منه إلى الناس، وكذا اختلاف مغاربها تبعا لذلك، ولا شك أن المشارق والمغارب تتعدد بتعدد فصول السنة.

وهو أيضا تعدد المشارق والمغارب لكل أمة أو قوم، أو وطن أو جهة أو بلد.

ويذكر أنه تعدد مشارق النجوم ومغاربها أيضا.

فالآيات تتحدث عن لون من الإعجاز العلمى الذى أثبته العلم

---

(١) سورة المعارج: ٤٠، ٤١. (٢) سورة المزمل: ٩.

(٣) سورة الرحمن: ١٧.

الحديث، مبينا وجود مشرق ومغرب، ومشرقين ومغربين، ومشارق ومغارب.

وحقيقة جريان الشمس، ودوران الأرض الذى ثبت يدل على اختلاف المشارق والمغارب، فسبحان الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم.

سورة نوح
هل غرق قوم نوح فدخلوا النار؟

قال تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾[(١)].

الفهم الخاطىء: يتمثل فيمن سأل عن معنى الآية، مستفسرا أو معترضا.

كيف أغرقوا فأدخلوا نارا، وشتان بين وقت غرقهم، وبين يوم القيامة الذى يدخلون فيه النار، ومعلوم أن الفاء للتعقيب، فكيف ذلك؟

والفهم الصحيح أن الآية تحدثنا عن حياة البرزخ، وفترة بقائهم فى قبورهم منذ غرقهم، فدخولهم النار ذلك فى القبر، وهى نار صغرى دون الكبرى أو هو العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر.

كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾[(٢)].

عند من فسرها بأنه عذاب القبر فى أحد القولين.

وهو كقوله تعالى عن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[(٣)].

فالآية تشير إلى عذاب القبر، وأن عذاب الكافرين موصول منذ موتهم وإلى أن تقوم القيامة فيستحقون دخول النار مع الخلود فيها، فمن تيار البحار إلى حرارة النار.

وكما يقال: من الدار إلى النار. وهو كقوله تعالى﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

(١) سورة نوح: ٢٥. (٢) سورة السجدة: ٢١. (٣) سورة غافر: ٤٦.

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

(١) سورة الأعراف: ٣٧، ٣٨.

سورة الجن
«هل الطرق الصوفية مذكورة في القرآن؟»

قال تعالى: ﴿وأَ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[1].

والفهم الخاطىء لهذه الآية هو من المضحكات، ذلك أن هذه الآية كثيرا ما يستشهد بها أبناء الطرق الصوفية على صحة طريقتهم، وأن طريقتهم مذكورة فى القرآن فى قول الله تعالى: ﴿ **وألوّ استقاموا على الطريقة**﴾ ثم يقول: إنها طريقتنا!!

وهو كمن زعم أن اسم شيخ طريقته« الشيخ كوكا» مذكور فى القرآن.

وذلك فى قوله تعالى﴿ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[2].

يقرأها«وترى كوكا قائما»!!!! وفى التصوف مضحكات كثيرة ومبكيات!! والفهم الصحيح للآية التى نحن بصددها أنها تحدثنا عن طريقة الإسلام.

أى وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿**لأسقيناهم ماء غدقا**﴾ أى كثيرا، والمراد بذلك سعة الرزق.

وهو كقوله تعالى عن أهل الكتاب﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[3]، وكقوله تعالى على العموم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الجن: ١٦.
(٢) سورة الجمعة: ١١.
(٢) سورة المائدة: ٦٦.
(٤) سورة الأعراف: ٩٦.

وقوله تعالى: ﴿وأَ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال ابن عباس يعنى بالاستقامة: الطاعة، وقال مجاهد: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب، وعطاء، و والسدى، ومحمد بن كعب القرظى[1].

(١)تفسير ابن كثيرجـ٤ ص ٤٣١ بتصرف.

سورة المزمل

«هل يجوز التبتل؟»

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾[١].

والفهم الخاطيء: كيف يأمرنا الله تعالي بالتبتل فى هذه الآية، وفى نفس الوقت« نهى النبىﷺ عن التبتل»[٢]. الذى هو الانقطاع للعبادة، وترك التزوج؟!

والصواب أن معنى الآية هنا: أن الله تعالى يأمر بكثرة ذكره، والتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[٣]. أى إذا فرغت من مهامك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدى فى الآية ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، أى أخلص له العبادة، وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك.

وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل بهذا المعنى.

فلا تعارض مع الحديث الذى نهى عن التبتل الذى هو بمعنى الانقطاع للعبادة والانصراف عن ملذات الدنيا بحيث يصوم النهار ويقوم الليل، وينقطع عن الزواج. فهذا من الرهبانية التى نهى عنها الإسلام[٤].

---

(١) سورة المزمل:٨

(٢) رواه الترمذى فى النكاح(١٠٨٢) والنسائى فى النكاح(٣٢١٣) وابن ماجه فى النكاح (١٨٤٩) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة برقم(١٤٩٩).

(٣)سورة الشرح(٧)

(٤) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٤٣٧ بتصرف.

سورة المدثر

«هل خزنة جهنم تسعة عشر فقط؟»

قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[١].

الفهم الخاطىء: كيف نوفق بين الآية الكريمة وهى تذكر أن عدد زبانية جهنم تسعة عشر، والحديث الذى يقول« يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢]؟

وما الحكمة فى ذكر العدد« تسعة عشر»؟

والجواب الصحيح: بأن ما ذكر فى الآية هم رؤوس الزبانية، وما ذكر فى الحديث إنما هم خرنة جهنم الذين يقومون على أمرها، وتعذيب أهلها وأما الحكمة فى ذكر العدد فعلمها عند ربى؟

ولكن القرآن الكريم بين أن هذا العدد إنما هم من الملائكة وليسوا بشرا عاديين حتى يُغْلَبو مِنْ قِبَلِ أهل النار مثلا، أو على نحو ما زعم أبو جهل لما قال: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟.

أو ما قاله آخر يدعى« أبو الأشيدين» واسمه«كلدة بن أسيد بن خلف» قال: يا معشر قريش أكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر، اعجابا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة مبلغا، فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه»[٣].

ولذلك قال الله تعالى مشيرا إلى الحكمة: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً

---

(١) سورة المدثر: ٣٠

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك(٤/ ٥٩٥) وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبى (قلت لكن العلاء كذبه أبو سلمه التبوذكى) ورواه ابن الجوزى فى تلبيس إبليس(٣٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٤٤ بتصرف.

لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فذكر عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا منا للناس.

﴿**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً**﴾[1] أى يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ كما قاله قوم الآن، فقال الله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ أى ما يعلم عددهم إلا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما زعم قوم.

فآخر هذه الآية يشير إلى ما ذكر فى الحديث من كثرة الملائكة الذين هم خزنة جهنم، فضلا عن غيرهم من الملائكة، وكلهم من جنود الرحمن جل وعلا.

هذا وما زعمه قوم من أهل الضلالة والجهالة، من الفلاسفة اليونانيين أو البهائية المارقين حول قداسة الرقم« تسعة عشر» ومن شايعهم، وقبل دعواهم، إنما هو من الإفك والكذب، وكذا ما ذكر عن اعجاز رقم «تسعة عشر» فى القرآن، إنما كانت دعاية مغرضة لصالح البهائية، ولكن الله تعالى فضحهم وبين زيفهم، سيما وقد استخرجوا من هذا الرقم موعدا محددا ليوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

●●●●●

(١، ٢) سورة المدثر: ٣١.

سورة القيامة

«هل كان يقرأ النبى ﷺ القرآن قبل جبريل؟»

قال تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه**﴾[(١)].

والفهم الخاطىء لهذه الآيات فيمن زعم من الفلاسفة ونحوهم من المتصوفة الذين قالوا بأن النبى ﷺ كان يعلم القرآن قبل نزوله.

وكان يقرأه قبل جبريل، يتعجل به، فأنزل الله فيه هذه الآيات، وهى كقوله تعالي: ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما**﴾[(٢)].

هذا وعند ذكر هذه الآية الثانية التى فى سورة طه، قمنا بالرد على تلك الفرية التى اخترعها ابن عربى - ذلك الطاغوت الصوفى - وآمن به مغفلون كثيرون من جهال الصوفية، وهم لايدرون أن هذا من الكفر البواح، وأنهم بذلك يشاركون المشركين قولهم بأن القرآن من عند محمدﷺ.

وقد رأينا بما ذكرناه من الأدلة ما ينفى تلك الفرية، حيث إن النبى ﷺ سأله المشركون، ولم يستطع إجابتهم فى الموعد المحدد لانقطاع الوحى عنه، كما لم يعلم براءة زوجه« عائشة» الصديقة بنت الصديق حتى نزلت براءتها من السماء، وكذا أمور أخرى تكررت فى حياته ﷺ.

وأما المعنى الصحيح لهذه الآيات: فكما قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ فى كيفية تلقيه الوحى من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك فى قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه فى

(١) سورة القيامة: ١٦ - ١٩.

(٢) سورة طه: ١١٤.

صدره وأن ييسره لآدائه على الوجه الذى ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعة فى صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه، ولهذا قال تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ أى بالقرآن، كما قال تعالى﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما**﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ **إن علينا جمعه** ﴾ أى: فى صدرك.

﴿ **وقرآنه**﴾ أى أن تقرأه﴿ **فإذا قرأناه**﴾ أى: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى. ﴿**فاتبع قرآنه**﴾ أى: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾أى بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبى عوانة عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، قال: فقال لى ابن عباس: أنا أحرك شفتى كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه، وقال لى سعيد: وأنا أحرك شفتى كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه.

فأنزل الله عز وجل﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ قال: جمعه فى صدرك ثم تقرأه﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ أى فاستمع له وأنصت ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه وقد رواه البخارى ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبى عائشة به، ولفظ البخارى« فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل»[١]. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمى حدثنا موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحى يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى(٥) ومسلم فى الصلاة(٤٤٨).

شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾[١].

وهكذا قال الشعبى والحسن البصرى وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت فى ذلك[٢].

●●●●●

(١) أخرجه الترمذى فى التفسير(٣٣٢٩) والحميدى فى مسنده(٥٢٧).
(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٤٤٩ . بتصرف.

من سورة الانسان

«هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب»

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

الفهم الخاطئ: ولعله من بعض تفسيرات الشيعة، قالوا: لقد مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما، فعادهما جدهما ﷺ، فقال لسيدنا على: أنذر عن ولديك، أى من أجل شفائهما وعافيتهما فنذر أن يصوم ثلاثة أيام، وقد شفاهما الله وعافاهما فكان يصوم مع السيدة فاطمة فإذا أعدا طعام الإفطار، وجلسا لتناوله دق على الباب سائل، ففى اليوم الأول دق مسكين، فأعطوه الطعام وباتا طاويين من الجوع، وفى اليوم الثانى جاء يتيم، وفى اليوم الثالث جاء أسير، وفى كل مرة يعطون السائل طعام افطارهم، ويصبحون صائمين لا إفطار ولا سحور، ويؤثرون السائلين بطعامهم على الرغم من شدة احتياجهم إليه.

قالوا: فأمر الله جبريل أن ينزل مباشرة بهذه الآية ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا . وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الآيات.

والحق أن هذه الآيات عامة وتخصيصها فى على وفاطمة تخصيص بغير مخصص، والقصة الواردة فى ذلك مكذوبة، ولا أساس لها من الصحة.

---

(١) سورة الإنسان: ٨.

سورة المرسلات

«كيف شرر جهنم؟»

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾[١].

والفهم الخاطىء لهذه الآية فيمن يقول: هل شرر جهنم كالقصر، أم أنه كالجمالة الصفر؟ وما وجه الشبه بين هذا وذاك؟

والجواب على ذلك: بأن شرر جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ فى حجمه كالقصر، وفى تتابعه كالجمالة الصفر فأى عجب فى ذلك أو تناقض؟!

(هذا ويفسر القصر ـ فى لغة العرب ـ بالحصون، وكذا أصول الشجر، وتفسر الجمالة الصفر بالإبل السود، وكذا بحبال السفن إذا جمعت، وأيضا قطع النحاس[٢].

وهذا ـ على اختلاف معانيه التى تعرفها العرب ـ يدل على عظم شرر جهنم، مع تطايرها وتتابعها، أعاذنا الله منها.

وفى النار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما فى الجنة كذلك ـ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار.

---

(١) سورة المرسلات: ٣٢، ٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير ص٤ ص٤٦٠ بتصرف.

سورة النبأ

«ما معنى «الأحقاب»، وهل يخلد الكفار فى النار؟»

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾(١).

الفهم الخاطىء: زعم قوم أن النار ستفنى، وأن الكفار لا يخلدون فيها، لأن الله تعالى حدد مدة مكثهم فى النار بأنها أحقاب، وهذه الأحقاب مدد محددة من الزمان وإن اختلفوا فى مقدارها، فلابد وأن تنقطع وإن طال أمدها!!

والجواب الصحيح الذى نعلمه ونوقن به أن الجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان وأن الكفار مخلدون فى النار، كما أن المؤمنين مخلدون فى الجنة.

وأنه لا يمكن من خلال معنى آية - قد فهمت على غير وجهها - يستخرج منها حكم، مع ترك ما عداها من الآيات المحكمة الصريحة والتى ذكرت حكم الخلود للكافرين فى النار «خالدين فيها أبدا».

هذا ولا نسلم لهم بأن «الأحقاب» عبارة عن مدة زمنية، ستنتهى أو تنقطع حتما.

بل نقول هى أحقاب ليس لها عدة إلا الخلود فى النار، وأحقاب لا يعلم عدتها إلا الله عز وجل، وأنها بلا انقطاع، وأنه كلما مضى حقب جاء حقب بعده. وأن أيام تلك الأحقاب بالأيام التى عند الله تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(٢).

فإذا نظرنا إلى كلام العرب بأن الحقب سبعون - أو ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون، يضاف إلى ذلك ما ذكره السدى بأنها سبعمائة حقب، فالأمر إذن هو الخلود والتأبيد، وذكر الأحقاب على سبيل تكثير الأيام كم هو معلوم عند العرب، والله أعلم.

---

(١) سورة النبأ ٢١ - ٢٣.

(٢) سورة الحج: ٤٧.

سورة النازعات

«هل قال فرعون: أنا ربكم الأعلى؟»

قوله تعالى - فى قصة فرعون قوله - ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾(١).

الفهم الخاطىء: زعم قوم - وهو من المزاعم المضحكة - أن فرعون لما أراد أن يضحك على قومه خرج عليهم بثوب واصع الأكمام، يقول لهم: أنا رب كم أعلى، أى صاحب كم كبير عن أكماكم، فظنوه يقول: أنا ربكم الأعلى، فألهوه، وسمعوا له وأطاعوا، وأن هذا من استخفافه بهم ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾(٢).

نقول: ومثل هذا لعله يكون من حكايات القصاصين والأفاكين، ولقد كنا نسمع مثل هذا من العوام والجهال فى بلادنا يذكرونه على قارعة الطريق، ولكنا نعتقد أنهم أخذوه عمن يظن فيهم العلم وعلمهم - كما نعلم - ليس من كتاب ولا حساب، ولعله من تحت عتبة الباب، فالصواب أن فرعون زعم لنفسه الألوهية والربوبية يوم أن قال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾(٣).

ثم قال بعد ذلك ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، جزاء كلمته الأولى والثانية.

وعاقبه فى الدنيا بالغرق، وفى الآخرة بالحرق، فهم كما قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾(٤).

---

(١) سورة النازعات: ٢٤، ٢٥.
(٢) سورة الزخرف: ٥٤.
(٣) سورة القصص: ٣٨.
(٤) سورة غافر: ٤٦.

وكما قال عز وجل عنه أيضا: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[١].

●●●●●

(١) سورة هود: ٩٨، ٩٩.

سورة عبس

هل عبس النبى ﷺ في وجه أحد؟

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[(1)].

والفهم الخاطىء فيمن اتهم الرسول ﷺ بالتقصير فى هذا الأمر، ونفى عنه العصمة، وذكر هذا من الشبهات التى تنفى العصمة عن الأنبياء وأنه يمكن صدور الذنب منهم؛ أو وقوع التقصير، كهذا الذى حدث من النبى ﷺ مع عبد الله بن أم مكتوم - رضى الله عنه -!!

والجواب الصحيح بأن الأمر ليس كما زعموا، والذى وقع من النبى ﷺ كان أمرا عارضا خلاف الأولى، لا يتنافى مع عصمته، ولا يخرج عن كونه من الهنات، وما فعله ﷺ قصدا ولا أراد به سوءا، وإنما هو القصد الكريم، والحرص النبيل، فى هداية من جاءه من قريش يحدثهم فى أمر الدين، لعل الله عز وجل أن يهديهم إلى الإسلام، وقد ترك ابن أم مكتوم بعض الوقت يعرض عنه، يكله إلى إيمانه السابق، ويقبل على هؤلاء المشركين لعلهم يسلموا لله رب العالمين.

ومع حسن المقصد، وطهر النية، ونبل الغرض، وجهه الله تعالى إلى ما هو أولى، فاستجاب كما ينبغى أن تكون الاستجابة، وأسرع فى ذلك على النحو الذى ذكر فى السيرة والحديث، وفيما ذكره غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع فى إسلامهم فبينما هو يخاطبهم ويناجيهم، إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديما، فجعل يسأل رسول الله ﷺ فى شىء ويلح عليه، وود النبى ﷺ أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من مخاطبة

---

(1) سورة عبس: ١ - ٤.

القوم طمعا ورغبة فى هدايتهم، وعبس فى وجه ابن أم مكتوم، وأعرض عنه، وأقبل على القوم؛ وفى رواية أنه رجل وكان أبى بن خلف، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات.

وفيها يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحد، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغنى، والسادة والعبيد، والرجال والنساء؛ والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال الحافظ أبو يعلى فى مسنده - بسنده - عن أنس - رضى الله عنه - فى قوله تعالى «عبس وتولى» جاء ابن أم مكتوم إلى النبى ﷺ وهو يكلم أبىَّ بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله عز وجل ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**﴾ وكان النبى ﷺ بعد ذلك يكرمه[1] كما كان يقول له: هل لك حاجة فى شىء ويقول له: أهلا بمن عاتبنى فيه ربى».

كما جعله ﷺ مؤذنا له فى صلاة الفجر، مع بلال، وكان يقول ﷺ «**إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم**»[2]. أ. هـ[3].

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٣١٢٣) وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٦/٥١٨)، وابن كثير فى تفسيره (٤/ ٤٧٠) ويشهد له حديث عائشة عند الترمذى (٣٣٢٨)، وصححه ابن حبان برقم (١٧٦٩) موارد والحاكم (٢/ ٥١٤) ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه البخارى فى الأذان (٦١٧)، ومسلم فى الصيام (١٠٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٧٠ بتصرف.

سورة التكوير
«هل كان النبى ﷺ يعلم الغيب؟»

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[١].

الفهم الخاطىء: زعم قوم أن النبى ﷺ يعلم الغيب، وأنه لم يضن علينا بشىء منه، فعلمنا علم الأولين والآخرين، وما كان وما يكون!!

والصحيح أن الغيب هنا بمعنى القرآن الكريم المنزل من عند الله تعالى، ويكون معنى الآية: وما محمد على ما أنزله الله إليه بطنين أى بمتهم، ومن قرأ بالضاد أى ببخيل، بل يبذله لكل أحد. وقال سفيان بن عيينة: ظميم وضنين سواء، أى ما هو بكاذب وما هو بفاجر. والظنين المتهم، والضنين البخيل، وقال قتادة: كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد؛ فما ضن به على الناس، بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد، قلت: ـ والكلام لابن كثير ـ وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم[٢].

وأما مسألة علم الغيب للنبى ﷺ، فقد وضحنا القول فيها عند قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ . . ﴾[٣].

بما خلاصته أن علم الغيب لله وحده ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ . . ﴾[٤].

---

(١) سورة التكوير: ٢٤. (٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٨٠ بتصرف.
(٣) سورة الأنعام: ٥٠. (٤) سورة النمل: ٦٥.

وأن الله تعالى يهب من علمه لمن يشاء من أنبيائه تصديقا لهم وتأييدا، كما قال: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾[1].

●●●●●

(١) سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٨.

سورة الانفطار

«هل الشفاعة منفية يوم القيامة؟»

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[1].

الفهم الخاطىء: سمعت من يستشهد بهذه الآية على نفى الشفاعة يوم القيامة!!

والصواب: أن الشفاعة ثابتة يوم القيامة لمن أذن الله له أن يشفع ولمن رضى فيه الشفاعة، وهناك شفاعات مثبتة، على رأسها شفاعات النبى محمد ﷺ، ثم الأنبياء، والملائكة، والشهداء.. إلخ.

وشفاعات منفية: مثل شفاعات الكافرين، والآلهة المزعومة، وغير ذلك والآية التى بين أيدينا ليست حكما وحدها فى القضية، كما أنها لا تنفى الشفاعة على النحو الذى زعمة قوم.

ذلك أن الآية تبين أنه لا يقدر أحد على نفع أحد، ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، لأن الأمر كله يومئذ لله وحده لا ينازعه فيه أحد، وقد أخبر بمنه وكرمه عن قبول الشفاعة والشفعاء من بعد إذنه ورضاه، فكيف تنكر الشفاعة، بآية، أو آيات، تفسر على غير وجهها وتوضع فى غير موضعها؟!!

●●●●●

---

(١) سورة الانفطار: ١٩.

سورة المطففين

«هل نرى ربنا يوم القيامة؟»

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(١).

والفهم الخاطىء: تمثل فى من استشهد بهذه الآية على إنكار رؤية الله عز وجل!!

وهو أمر عجب، وفيه حجب لصاحبه عن الفهم الصحيح، والزيغ عن الصراط المستقيم، فالآية تحدثنا عن الكفار الذين ران على قلوبهم حتى عميت، فعاقبهم الله يوم القيامة بأن أنزلهم منزلة السجين، فهم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم، ورحم الله الشافعى إذ قال: وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل، يوم القيامة، وهذا الذى قاله الشافعى فى غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢).

والآية الكريمة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣) والحسنى هى الجنة، والزيادة هى رؤية الله تعالى، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة، رؤية بالإبصار فى عرصات القيامة، وفى روضات الجنان. هذا؛ وإنَّ رؤية الله عز وجل لا يعادلها نعيم فى الجنة لأهل الإيمان، كما أن حجبه للكفار عن رؤية الله عز وجل لهو أشد عليهم من عذاب جهنم.

---

(١) سورة المطففين: ١٥.

(٢) سورة القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة يونس: ٢٦.

هذا ولنا الحق أن نتعجب من قوم استدلوا بهذه الآية على إنكار رؤية الله عز وجل ونقول: إنهم لما أقنعوا أنفسهم بالفكرة، راحوا يبحثون لها عن أى دليل، فلما وجدوا هذه الآية جعلوها زيادة فى أدلتهم، وما نظروا أنها فى الكافرين، وليست فى المؤمنين، ولكنه الهوى والتحكم!!

●●●●●

سورة الانشقاق

«ما معنى الحساب اليسير؟»

قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾[١].

والفهم الذى وضع فى غير موضعه ما جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب عذب**» قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾؟ قال: «**ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»[٢]. وهكذا واه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد وابن جرير.

وروى أحمد بسنده عن عائشة أيضا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته: «**اللهم حاسبنى حسابا يسيرا**» فلما انصرف قلت يا رسول الله: ما الحساب اليسير؟

قال: «**أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه. إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك**» صحيح على شرط مسلم[٣].

●●●●●

---

(١) سورة الانشقاق (٧، ٨).

(٢) أخرجه البخارى فى التفسير (٤٩٣٩)، ومسلم فى الجنة (٢٨٧٦).

(٣) أخرجه أحمد (٦/٤٨)، وابن خزيمة (٨٤٩)، والحاكم فى المستدرك (١/٥٧) وصححه ووافقه الذهبى.

سورة البروج

«ما معنى الشاهد والمشهود؟»

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[١].

الفهم الخاطىء: زعمت الشيعة أن معنى الشاهد والمشهود هو الحسن والحسين!! ونقله عنهم قوم من المتصوفة!! كما فسره قوم بأن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة!

وقال آخرون الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة!

وفسر بأن الشاهد هو الله، والمشهود نحن!

وكل هذا الذى ذكر فى الأخير - محتمل وفيه نظر، وله وجه أو دلالة لكن الذى قالته الشيعة؛ فذلك الشىء غير المحتمل، فلا اللغة تسعفه ولا السياق يؤيده، ولا ثمت شىء يدل عليه.

هذا وذكر حول معنى الشاهد ما قاله الله تعالى عن نفسه: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٢] وما قاله عن رسوله ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٣].

وقال في معنى المشهود، حول يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[٤].

وصلاة الفجر ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٥].

وفى الحديث قال ﷺ: **«أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة»**[٦].

---

(١) سورة البروج: ١ - ٣.
(٢) سورة الفتح: ٢٨.
(٣) سورة النساء: ٤١.
(٤) سورة هود: ١٠٣.
(٥) سورة الإسراء: ٧٨.
(٦) رواه ابن ماجة فى الجنائز (١٦٣٧)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩).

وروى أحمد عن أبى هريرة أنه قال: فى هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة.
والله أعلم بالصواب(١).

●●●●●

(١) تفسير ابن كثير حـ١ صـ٤٩١، ٤٩٢ بتصرف.

سورة الطارق

«ما معنى الطارق؟»

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[١].

والفهم الخاطىء هو ذكر الآية الأولى فى غير موضعها. كأن يعبر الإنسان عن فقره وإفلاسه فيقول: والسماء والطارق!!

مع أن القرآن الكريم فسر الطارق بعد السؤال عنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ فقا مفسرا له: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال قتادة وغيره؛ وإنما سمى النجم طارقا؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار، ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح «نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا»[٢]، أى يأتيهم فجأة بالليل، وفى الحديث الآخر المشتمل على الدعاء «إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»[٣].

●●●●●

---

(١) سورة الطارق: ١ ـ ٣.

(٢) رواه البخارى فى العمرة (٨٠١)، ومسلم فى الإمارة (٧١٥)، وأبو داود فى الجهاد (٢٧٧٦).

(٣) رواه مالك فى الموطأ كتاب الشعر (٢/ ٩٥١).

سورة الأعلى
«هل التيسير يكون تهاوناً؟»

قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[1].

الفهم الخاطىء عند كثير من الناس لمعنى التيسير أنه التهاون والترك باسم التيسير، ورفع الحرج وعدم الكلفة!

والصواب أن اليسر شيء، والتهاون فى أمر الدين شيء آخر، فالتيسير هو أن الله تعالى سهل علينا أفعال الخير وأقواله، وشرع لنا شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وأما أن نترك بعض تكاليف الذين باسم اليسر فى الدين؛ فهذا لا علاقة له باليسرية ورفع الحرج.

هذا وكم نجد فى حياة الناس من يخلط بين هذا وذاك حتى ضاعت أكثر معالم الدين باسم سماحة الدين، ويسر الإسلام!!

●●●●●

(١) سورة الأعلى: ٨.

سورة الغاشية
«ما هى الوجوه الخاشعة والناعمة؟»

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾[(١)] فكيف هى خاشعة، وعاملة ناصبة، ثم فى ذات الوقت تصلى نارا حامية؟! والصواب أنها خاشعة بمعنى ذليلة، وأنها عملت عملا كثيرا ونصبت فيه ولكن لا ينفعها عملها، وستصلى يوم القيامة نارا حامية، لأنه انبنى على غير أساس، أو لم يكن مبنيا على الإيمان، أو لا إخلاص فيه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[(٢)].

وكما ذكر أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مر بدار راهب، فناداه يا راهب، فأشرف، قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكى، فقيل له يا أمير المؤمنين: ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل فى كتابه: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ فذاك الذى أبكانى[(٣)].

فالوجوه الخاشعة العاملة الناصبة، وجوه النصارى من الرهبان ومن على شاكلتهم، وأيضا هى العاملة فى الدنيا بالمعاصى؛ فهى ناصبة فى النار والعذاب والإهلاك[(٤)].

ثم قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. . . ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الغاشية: ٢ - ٥.
(٢) سورة المائدة: ٥.
(٣) أورده السيوطى فى الدر المنثو (٦/ ٥٧٣)، وابن كثير فى التفسير (٤/ ٥٠٢).
(٤) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٠٢ بتصرف.
(٥) سورة الغاشية: ٨ - ١٠.

زعم قوم أن هذه الوجوه الناعمة، لا شعر فيها ولا لحية، وإذا كان هذا حالهم فى الآخرة، فليكن هذا دأبهم فى الدنيا، فترى الرجل منهم يحلق لحيته وينعمها متشبها بالمرأة ـ ثم يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾!!!!

ونحن نعرف أن الوجوه الناعمة يوم القيامة، لا تقاس بنعومة أهل الدنيا ونعومة النساء، أما نعومة الوجوه يوم القيامة؛ فهو معرفة النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها، وأهل الجنة يدخلونها جردا مردا مكحلين منعمين، وذاك حالهم فى الآخرة؛ مقابل سعيهم فى الدنيا، وقد حفت الجنة بالمكاره، كما حفت النار بالشهوات.

●●●●●

من سورة الفجر
«هل رأى النبى ﷺ قوم عاد ؟»

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ .الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾[1].

الفهم الخاطئ يتمثل فى استشهاد المتصوفة ونحوهم على أن النبى محمدا ﷺ هو أول الخلق، وأنه حى من الأزل، وسيبقى إلى الأبد، بدليل أنه رأى عاداً، وثمود وفرعون الخ.

وقد خاطبه الله بذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فهو كان يرى ويشاهد الأحداث، وينظر وراء ستار الغيب!! مع أن هذه الأحداث كلها حدثت قبل ولادته، فدل ذلك على أن محمدا ﷺ كان يعيش فى الأزل وأنه سيبقى إلى الأبد.!!

نقول: وهذا كلام جد خطير، وهو بعيد عن الصواب، وهو أشنع مما قاله المستشرقون فى كتاب الله، إذ كلامهم هذا يناقض ما جاء فى كتاب الله، ويناقض الحقيقة والواقع، فالنبى ﷺ ولد يوم الاثنين، الثانى عشر من شهر ربيع الأول ـ على الراجح ـ ولم يولد قبل هذا، ولم يكن حيا قبل ولادته، ولا كان مشاهدا للأحداث، أو متابعا للوقائع، وما جرى للأمم السابقة وقول ربنا ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إنما أوقعهم فيما ذهبوا إليه الأخذ بظاهر اللفظ، والجهل بأساليب اللغة العربية، وهذه الرؤية ليست بصرية، حتى يصح ما ذهبوا إليه، ولا يمكن أن يصح.

وإنما هى الرؤية الإيمانية التى لا ترتبط ببصر ولا نظر، وهذه تحدث للإنسان إذا كان مؤمنا فهو يرى رؤية إيمانية إذا أخبره الله عز وجل

(١) سورة الفجر: ٦ ـ ١١.

فيصدق كلام الله، وإن كان العلم وحده لا يكفى فى ذلك، وهو كقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[1] ولنا معها وقفة إن شاء الله، فكلام الصوفية بأنه ﷺ حى من الأزل، بدليل هذه الآية، مرفوض على نحو ما علمت وأما قولهم: وسيبقى إلى الأبد، فينكره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2].

وكذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[3].

فهذا كلام غريب، وفهم عجيب، لا يحكمه دين ولا يقره منطق، وإنما هى العواطف غير المنضبطة بشرع ولا عقل، وهذا الدين ليس بدين العواطف غير المنضبطة وإنما هو الدين الذى قام على العلم والبرهان والدليل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

●●●●●

---

(١) سورة الفيل: ١.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٤.

(٤) سورة البقرة: ١١١.

ما هى إرم؟

هذا وحول الآيات أيضا ذكرت اسرائيليات كثيرة، فقالوا فى معنى ﴿**إرم ذات العماد**﴾ ما صنع الحداد ـ كما يقولون ـ فزعموا أن عادا كان له ولدان، أدهما يدعى شديد، والآخر شداد، سمعا حديثا عن الجنة واتساعها، وأنها بنيت لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، حصباؤها اللؤلؤ والياقوت، فقالا: سنبنى مثل الجنة فخرجا فى الصحراء، وبدأوا يبنون مدينة إرم، فبنوها فى ثلاثمائة سنة، وكان عمرها تسعمائة سنة، وقد بنيا (إرم) باتساع الصحراء، وجعلوها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعلوا ترابها أو حصبات اللؤلؤ والياقوت والجواهر!!.

وأن هذه المدينة كانت وكانت، أى جنة فى الأرض. الخ مزاعمهم!! نقول: وليس الزمر كما زعموا من قريب ولا من بعيد، فإرم لم تكن مدينة على الإطلاق، كما حكت الاسرائيليات وإنما (إرم) هذا فى النسب فيقال (عاد بن ارم) ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم..﴾ تعرب على أنها بدل من عاد أو عطف بيان، يعنى عاد أولاد ارم، وكان لهم القوة والصولجان، وكانت لهم مبانى عظيمة، وقصور شامخة، وذلك مع قوتهم وبطشهم ، فلذلك قال ﴿**إرم ذات العماد**﴾ أى وصف للقبيلة»[1].

ويقال هذا لطول قامتهم كما شبههم الله عند هلاكهم ﴿ **فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ [2].

وحكى القرآن بعض الهم، أو أهم صفاتهم، فقال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ**

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير.

(٢) سورة الحاقة: ٧.

﴿١٢٧﴾ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴿١٢٨﴾ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴿١٢٩﴾ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴿١٣٠﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٣١﴾ واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ﴿١٣٢﴾ أمدكم بأنعام وبنين ﴿١٣٣﴾ وجنات وعيون ﴿١٣٤﴾ إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿١٣٥﴾ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴿١٣٦﴾ إن هذا إلا خلق الأولين ﴿١٣٧﴾ وما نحن بمعذبين ﴿١٣٨﴾ فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٣٩﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ (١).

أقول: فارم هو أصل عاد، واليهود - أصحاب هذه الاسرائيليات - يعلمون ذلك، ولذلك كانوا يقولون للأوس والخزرج: «يوشك أن يبعث فينا نبى اخر الزمان، نؤمن به، ونقاتلكم معه قتل عاد وإرم»!!

فإرم لم تكن مدينة - على نحو ما حكت الإسرائيليات - لعاد أو شديد و شداد، ولا فى دمشق ولا الإسكندرية!!.

وما كانت جنة، لبنة من ذهب، ولا من فضة، ولا باتساع الصحراء، وإلا فأين أطلالها أو آثارها أو مخلفاتها؟!!.

●●●●●

(١) سورة الشعراء: (١٢٢ - ١٤٠).

سورة البلد

«من الوالد ومن الولد؟»

قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [1].

وقد ذهب الناس فى تفسيرها مذاهب شتى، كل يغنى فيها علي ما ذهب إليه، والناس فيما يعشقون مذاهب، فمنهم من قال: الوالد «على»، والمولود: «الحسن والحسين» وهو تفسير شيعى قطعا، ومن قال: الوالد. آدم. والمولود: محمد ﷺ، أو المولود جميع ولد آدم أى ذريته، وقال ابن عباس: الوالد الذى يلد، وما ولد: العاقر الذى لا يولد له وقال عكرمة: الوالد العاقر، وما ولد الذى يلد، . .

ـ والصواب أن الآية عامة فى كل والد وولده، والله أعلم.

●●●●●

(١) سورة البلد: ٣.

سورة الشمس

«هل يجوز القسم بالأشياء؟»

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [١].

- الفهم الخاطىء: زعم قوم أنه يجوز لنا القسم بغير الله تعالى، واستدلوا بهذه الآيات ونظائرها، ولقد سمعت رئيسا يخطب يوما يقول:

والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها، لتظلن مآذن الأزهر عالية خفاقة!!

- فقلت: اخسأ، فلن تعدو قدرك، فإن هذا ليس لك، وإنما يقسم الله عز وجل بالأشياء يلفت نظرنا لما أودع فيها من حكم وأسرار، وما فيها من آيات ونعم.

- وأما نحن فليس لنا أن نقسم إلا بالله تعالى لقول النبى ﷺ: **«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»** [٢] وكذا قال: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»** [٣].

●●●●●

(١) سورة الشمس: ١ -٧.

(٢) رواه البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٤٦)، ومسلم فى الإيمان (١٦٤٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٦٧)، وابن حبان فى الموارد (١٧٧)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣/ ١٥٥).

سورة الليل

«هل نتكل على كتابنا الأول؟»

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾(١).

- والفهم الخاطيء: هل نعمل لأمر فرغ منه، أم على أمر مستقبل؟

- وإذا كان كل إنسان قد قدر له كل شيء وهو في بطن أمه، ففيم العلم؟

- وقد قضى الله تعالى أمره باليسر أو بالعسر، فكيف ذلك؟

- والجواب: أن هذا الأمر مرتبط بمسألة القضاء والقدر، وأنه يحتاج إلى فهم صحيح، مع جمع بين النصوص.

- وهذا رسول الله ﷺ يبين الأمر ويجلي المسألة.

- وفي الحديث أن أبا بكر قال: قلت لرسول الله ﷺ أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مستأنف قال: بل على أمر قد فرغ منه، قال: ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» (٢).

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من زد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ إلى قوله - للعسرى﴾ (٣).

- وقد جاء الحديث بروايات مختلفة.

---

(١) سورة الليل: ٥ - ٧.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٤٨)، وأبو داود في السنة (٤٧٠٩)، وابن ماجه، في المقدمة (٧٨).

(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٩٤٦)، وأحمد (١/ ١٤٠).

سورة الضحى

«ما معنى الضلال؟»

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ (١).

والفهم الخاطىء فى تفسير معنى الضلال عند بعض المسلمين، أو استغلال هذه الآية من قبل المغرضين - من المستشرقين أو المستغربين - إذ عمدت طائفة منهم إلى محاولة النيل من مقام النبوة الكريم، وذلك عن طريق المدح فى شخصه ﷺ واتهامه فى عقيدته، ووصمه بالضلال، أو مشاركته للكافرين فى قبائح الأعمال.

وفى ردنا على ذلك نقول: إذا كان المؤمن - بما وقر فى قلبه من إيمان - ليتعجب من هذا الاتهام، فإن عجبه يزداد عند التأمل فيما ساقوه من دليل لتأييد ادعائهم وتدعيم افترائهم، حيث قالوا: إن قوله تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ يفهم منه أنه ﷺ كان على الوثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد!!

وأمام هذا الافتراء المبين لا يملك المرء إلا أن يقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وكيف يكون كذلك، والله تعالى يكلؤه بعنايته، ويحوطه بحفظه ورعايته؟!!

لقد عصم الله تعالى نبيه ﷺ عن جميع مظاهر الانحراف والضلال والجاهلية، لقد نشأ محمد ﷺ موحدا لم يسجد لصنم، وطاهرا لم يقترف فاحشة، فضلال الشرك، وضلال الهوى فى العمل كانا بعيدين

(١) سورة الضحى: ٧ (٢) سورة النور من آية ١٦.

عن ذاته الكريمة، يرهبان الدنو من نفسه القويمة.

فلايفهم من هذه الآية أنه ﷺ كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم - حاش لله - إن ذلك لهو الإفك المبين وإنما الضلال الوارد فى الآية الكريمة له معان أخرى منها.

١- اشتباه المآخذ على النفس حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغى أن تختار لقد نشأ ﷺ فى جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن نفسه إليها، ولكنه ﷺ لم يجد طريقا واضحا مطمئنا يلجأ إليه، لا فيما عند الجاهلية، ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى - عليهما السلام - الذين حرفوا وبدلوا، وانحرفوا وتاهوا.

إنها بمعنى الحيرة، لما رآه النبى الكريم من فساد دين قومه، وفساد دين أهل الكتاب، مع أن الأصل فيه أنه دين توحيد ينتسب إلى نبى من الأنبياء، فهل فى اختيار أحد الدينين مصلحة له ولقومه؟ وهل فى الدعوة إلى ما يختار منهما فلاح لنفسه ولشعبه؟ وهو ﷺ أمِى لا يقرأ الكتب، ولا يعرف ما حوته تلك الأديان من الشرائع والأحكام؟ كيف كان يصلح ذلك وأهل كل من الدينين لم يكونوا فى حالهم أرشد من قومه؟!

فكان شيء من الشرك يشوب عقائدهم، وكثير من السيئات والجرائم تدنس أعمالهم!!

٢ - الغفلة عن السبيل الموصل إلى إنقاذ الهالكين وإرشاد الضالين.

وكما كان ﷺ فى حيرة من أمره فيما يختار له ولقومه من الأديان، كان كذلك فى حيرة من أمر العرب أنفسهم فى فساد اعتقادهم واضطراب شئونهم، ومن ثم فى معرفة السبيل الذى ينبغى السير عليه لمن يبغى إصلاحهم والارتقاء بهم.

فما العمل فى تقويم عقائدهم وتخليصهم من تحكم عاداتهم فيهم؟! وأى طريق ينبغى أن يسلك فى إيقاظهم من سباتهم؟! ومن أى الأبواب يمكن أن يدخل إلى قلوبهم؟

فما أشدها حيرة على الصديقين، وما أعظمها ظلمة تغشى السالكين من أهل الصدق واليقين إلى أن يكشفها الله بالنور المبين!!

٣ ـ الغفلة عن الشرائع والأحكام التى بها الهداية والإيمان:

ومن معانى الضلال فى الآية: غفلته ﷺ عن الشرائع التى تهتدى بها العقول، وتطمئن إليها النفوس، كذا غفلته عن وسائل القرب إلى الله تعالى، فهداه ربه تعالى إلى معرفتها، ويسر له طرق تحصيلها بما أنزل عليه من القرآن الذى فيه بيان الشرائع والأحكام.

ومما سبق يتضح لنا أن الضلال المذكور فى الآية الكريمة لا يفهم منه أنه ﷺ كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على جهل بالله قبل معرفته، وإنما المراد بالضلال أمور هى:

* الحيرة التى تنتاب النفس فى معرفة الدين الحق الذى به النجاة والفلاح، وقد هداه الله تعالى إلى الإسلام، وارتضاه لأمته دينا.

* الغفلة عن معرفة السبيل الموصل لهداية قومه وتقويم عوجهم، وقد هداه الله تعالى إليه باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته.

* الجهل بالشرائع والأحكام التى يتعبد بها إلى الله تعالى: وقد هداه ربه تعالى إلى القرآن وشرائع الإسلام، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (١) أ، هـ (٢).

---

(١) سورة الشورى: ٥٢, ٥٣.

(٢) راجع بتوسع: تفسير جزء «عَمّ» للإمام محمد عبده ص٨٤، ٨٥، ورسالة التوحيد ص١٢٢, ١٢٣ وفى ظلال القرآن جـ٦ ص٣٩٢٧.

سورة الشرح

«كيف شرح صدر النبى ﷺ، وهل كان له وزر؟»

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (١).

الفهم الخاطىء تمثل فى أن قوما أنكروا انشراح صدر النبى ﷺ هذا من ناحية وزعم قوم آخرون عدم عصمة النبى ﷺ بالآية الثانية ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ وفى الرد عليهم نقول: كلاهما قد أبعد النزع، وضل فى الفهم، وانحرف عن جادة الصراط، ذلك أن الله تعالى أثنى على نبيه ﷺ بانشراح الصدر، مع وضع الوزر، وجاء فى معنى هذا «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» يعنى أما شرحنا لك صدرك أى نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ (٢) وهذا انشراح معنوى: بخلاف الانشراح الحسى الذى وقع له ﷺ فى صغر سنه، وكذا فى ليلة الاسراء والمعراج، فنشأ عنه الشرح المعنوى أيضا.

وفى السنة ما يدل على وقوع انشراح الصدر له ﷺ، فيما لا يحتمل تأويلا ولا تكذيبا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فإنها بمعنى قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(٣) على نحو ما علمت تفسيرها هنالك.

فهى لا تدل على عدم العصمة، كما زعموا، ولا يفهم منها أن النبى ﷺ كانت له أوزار محيت عنه، وإنما هو تكريم النبى ﷺ ببعد الأوزار عنه حتى لا يثقل حمله ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أى

---

(١) سورة الشرح: ١ـ ٤
(٢) سورة الأنعام: ١٢٥
(٣) سورة الفتح: ٢

أثقلك حمله، فهى كقوله تعالى عن سيدنا يوسف - عليه السلام -: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [1].

فالآيات فى معرض المدح وليس الذم، ولذلك أردفها الله بقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فلا يذكر الله تعالى إلا وقد ذكر رسوله ﷺ.

●●●●●

(١) سورة يوسف: ٢٤.

من سورة التين

«ما معنى تسفل الإنسان؟»

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1]

الفهم الخاطىء: فيمن جهل معنى تسفل الإنسان، وهو يتخيل أنه يتردى إلى الأرض السابعة مثلا، أو نحو ذلك. !!

والرد على ذلك، نقول: إن الكلام هنا على الجانب المعنوى، وليس الحسى فالحديث فى هذا المقام عن خصائصه الروحية، فهى التى تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة، ويحيد عن الإيمان المستقيم معها.

إذ أنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين.

وفى هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنسانى، فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج.. حيث وقف جبريل عليه السلام ـ عند مقام، وارتفع محمد بن عبدالله ﷺ ـ الإنسان ـ إلى المقام الأسنى.

بينما هذا الإنسان مهيأ ـ حين ينتكس ـ لأن يهوى إلى الدرك الذى لا يبلغ إليه مخلوق قط ﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها فى الأرض على هدى. بينما هو المخلوق فى أحسن تقويم،

---

(١) سورة التين: ٤ ـ ٦.

يجحد ربه، ويرتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه.

﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ فطرة واستعدادا ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذى هداه الله إليه، وبينه له، وتركه ليختار أحد النجدين. ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال فى دار الكمال ﴿ **فلهم أجر غير منمون** ﴾ دائم غير مقطوع[١].

●●●●●

(١) فى ظلال القرآن الكريم حـ٦ صـ٣٩٣٣.

سورة العلق

«هل العلم يورث الطغيان؟»

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾(١).

الفهم الخاطىء: يتمثل فى شبهة تحريم العلم غير الشرعى لأنه يورث الطغيان، أو أنه يجب هجران التعليم لتتحقق الأمية التى هى صفة تلك الأمة، والأعجب من ذلك أن يرتبط التعليم بالعبادة ولا يؤخذ منه إلا بقدر الحاجة الضرورية فما زاد على ذلك فهو من الطغيان المشار إليه فى قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾

والرد على ذلك: أن أمر ربط الطغيان بزيادة العلم، والحكم بخطأ من تعلم علما لا يحتاجه فى أمور العبادة، ليس صحيحا، لأن زيادة العلم طريق الهدى الموصل إلى الله عز وجل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢)

وإن تعجب فعجب قول شباب التفكير - أصحاب هذه الشبهة -:

إن ذرة تعلم يقصد بها غير بلوغ هذه الغاية إنما هى ذرة خارجة عن العبودية مضافة إلى التأله فى الأرض بغير حق. مبتدأة بداية الطغيان البشرى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾!!

نعم يطلب من المسلم أن يصحح نيته لله عز وجل، ولكن لا يقتصر

---

(١) سورة العلق: ١ - ٨.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

ذلك على علوم الدين، أو على ما يحتاجه الإنسان فقط، وإنما ما تحتاجه البشرية أيضا، وكل علم نافع ـ ولا شك ـ أن البشرية محتاجة إليه يعد من قبيل العلم الذى أباحه الله عز وجل، وطلب منا التفكير فى مخلوقاته والنظر إلى ملكوته علما في الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[١].

أليس هذا هو علم الدين والدنيا. وكلاهما يوصل إلى خشية الله عز وجل.؟!!

●●●●●

(١) سورة فاطر: ٢٧، ٢٨.

سورة الزلزلة

«هل الجزاء العادل يمنع الشفاعة؟»

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

والفهم الخاطىء: يتمثل فيما يردده رويبضات هذا العصر، من نفيهم للشفاعة يوم القيامة برغم أن هذه الآية محكمة تضع مبدأ عاما للثواب والعقاب، وأنها كلمة سبقت منذ الأزل، تقرر الجزاء حتى أنكروا الأحاديث الواردة فى الشفاعة كلها، مع تأويل الآيات تأويلا خاطئا.

والجواب على ذلك: أن العدل لا يتنا فى مع الرحمة والفضل، كما أن الجزاء المذكور فى الآية ليس له صورة واحدة، مرتبطة بالجزاء فى الآخرة، وإنما هو على نحو ما جاء فى الحديث.

روى ابن جرير بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرفع أبو بكر يده، وقال يا رسول الله: إنى أجزى بما عملت من مثقال ذرة الشر؟ فقال: يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره، فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة»

وروى: من طريق أخرى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق «رضى الله عنه» قاعد فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: يبكينى هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: **«لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم ،لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»**[2].

---

(١) سورة الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) رواه مسلم.

وروى ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى قال: لما أنزلت **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾** قلت يا رسول الله : إنى لراء عملى؟ قال: «**نعم**»، قلت: تلك الكبار الكبار؟قال: «**نعم**»، قلت: الصغار الصغار؟ قال: «**نعم**»، **قلت**:وأثكل أمى، **قال**: «**أبشريا أبا سعيد، فإن الحسنة بعشر أمثالها ـ يعنى إلى سبعمائة ضعف ـ ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يعفو الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله،** قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ **قال:** «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة**»

وجاء فى معناها أيضا فيما رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾** وذلك لما نزلت هذه الآية **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾** كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشىء القليل إذا أعطوه، فيجىء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون؛ ما هذا بشىء، إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه.

وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾** ومعنى «يره» أى فى كتابه، فتسره الحسنة، وتسوءه السيئة، ويكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحد عشرا، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة» وفى ذات الوقت يحذر ﷺ بقوله «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل**

حتى يهلكنه» وأن رسول الله ﷺ « ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها»[١].

●●●●●

---

(١) تفسير ابن كثير حـ٤ صـ٥٤٠، ٥٤١ بتصرف.

سورة التكاثر

«ما معنى زيارة المقابر؟»

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾(١).

الفهم الخاطىء: أن يفهم أناس معنى الزيارة بما يقوم به الأحياء من زيارة قبور الأموات، ويجعلون ذلك عاما للرجال والنساء. وليس الأمر كذلك.

والصواب: أنه يراد بها الموت، فيمن شغل بدنياه حتى وافته المنية وأتاه الأجل، ودفن فى القبور.

ومعناها: ألهاكم التكاثر عن الطاعة، حتى زرتم المقابر أى حتى يأتيكم الموت.

وفى الحديث الذى رواه مسلم والترمذى وأحمد عن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: **﴿ألهاكم التكاثر﴾** يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»(٢).

وعبر القرآن عن الموت بزيارة المقابر لأن بقاءه فيها كبقاء الزائر الذى لابد أن يرجع إلى منزله، والمنزل إما جنة وإما نار، فاللهم اجعله جنة ولا تجعله ناراً برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) سورة التكاثر: ١، ٢.

(٢) رواه مسلم والترمذى وأحمد.

فحى على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأى اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تحكم

●●●●●

سورة الفيل

«هل أرسل الله طيرا أبابيل؟»

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[1].

والفهم الخاطئ ارتبط بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ فقالوا: حادث الفيل حدث قبل ولادة النبى ﷺ. أو فى العام الذى ولد فيه، فحادث الفيل سبق ولادة النبى ﷺ ومع ذلك فالقرآن يقول له: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وهو لم ير، وكان أولى أن يقال له: ألم تعلم، لأن العلم يحدث عن الرؤية ويحدث بالسماع، فلو جاء أحد الناس فأخبره، فهو بذا قد علم.

فَلِمَ قالت الآية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولم تقل: ألم تعلم، ولو قالت: ألم تعلم لصدقت، وأما فى قول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ دليل على أنها هفوه بشرية فى القرآن. !!

وجوابنا على هذه الشبهة كالآتى: لماذا قال الله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ولم يقل ألم تعلم؟ لأن الذى حدث مع أصحاب الفيل لا يكفى فيه العلم، وربما لا يصدق، فكون العلم التجريبى يصدق أن عصفورا صغيرا وقف على ظهر فيل ضخم عظيم، فحوله إلى طعام مطهى مفتت، فكيف يصدق ذلك، وأى علم تجريبى يقبله؟ إن هذه المعجزة الضخمة لا يكفى فيها العلم، فلابد فيها من إيمان، وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لم يرد الرؤية البصرية، ولا العلمية، وإنما أراد الرؤية الإيمانية، التى

---

(١) سورة الفيل: ١

تؤمن بالقدرة الالهية الخارقة، وأما العلم هنا فلا ينفع وحده بل يكذب هذا، فالواقع المجرد يقول: لو أن عشرات الطيور والعصافير وقفت على ظهر فيل ما أحس بها وما يأبه لها، أما وأن ينزل عصفور أو طائر صغير على ظهر فيل فيتحول فى لحظات إلى عصف مأكول، فهذه قدرة إلهية تحتاج إلى إيمان، لأنك كإنسان لو أردت أن تعين ضعيفا لا يقدر على حمل متاعه، فإنك تحمله عنه، لكنك لا تستطيع أن تجعل الضعيف قويا، وأما الذى يستطيع أن يجعل الضعيف قويا، وأن يجعل أقوى الأقوياء من أضعف الضعفاء إنما هو رب الأرض والسماء، وهذا أبرهة بخيله ورجله وبقوته وأفياله وهو يمثل قوة لم يستطع العرب أن يقفوا أمامها، وسلموا له مكة وأفسحوا له الطريق، لأنه يمثل قوة خارقة بأفياله القوية الضخمة، فلما تخلت قوى الأرض عن بيت الله الحرام، تدخلت عناية السماء، وحفظ الله بيته الحرام، فلم ينزل ملائكته، ولم يرسل عليهم صاعقة، وإنما أرسل طيرا صغيرا، تحمل فى منقارها وأرجلها حجارة صغيره من جهنم، وبهذا المخلوق الضعيف الذى يمكن أن يمسك الطفل به أو يلعب به، أو يضغط عليه فيموت فى يده، بهذا المخلوق الضعيف هزم الله عز وجل أقوى الأقوياء فى عهده، وذلك بقدرته ـ سبحانه ـ إذ يقول للشىء كن فيكون»[1].

أقول: وهذه القدرة لا يمكن أن تأتى بالعلم ولا يمكن أن تدخل إلى نطاق التجارب، وإنما تحتاج إلى رؤية إيمانية، يرى القلب بها قدرة الله عز وجل وعظمته، فيؤمن بتلك المعجزة الخارقة، لأن المعجزات خارقة للعادات، فاحتاج الأمر إلى رؤية إيمانية وإلى قلب يرى،

وأن تكون الرؤية متجددة مستمرة. فلم يقل له (هل رأيت) وإنما

(١)خواطر الشيخ الشعراوى (حديث فى التلفاز) بتصرف.

قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ حتى تظل تلك الرؤية الإيمانية متجددة له ولأتباعه على مدى العصور والدهور.

وكما علمت، فليست كل رؤية بصرية - حتى يقال ما أبصر - وإنما هناك رؤية علمية، تثبت فى معامل الاختبار بالتجارب ولا تثبت بالنظر، ورؤية ايمانية تختلف عن سابقتيها.

وهناك جزئية أخرى من الفهم الخاطئ لهذه السورة: زعم بعض المفسرين أن الذى فتك بجيش ابرهة إنما هى جراثيم وميكروبات أو وباء! وبالتالى أنكروا المعجزة وأنكروا نزول طير أبابيل، أو حجارة من سجيل!!

وهذا جرم عظيم وخطأ جسيم، لأنه يخالف نص القرآن الصريح، ويتفق مع كلام المستشرقين القبيح، فهل يمكن أن يعبر عن الجراثيم والميكروبات بالطيرالأبابيل، وأنها ترمى بحجارة من سجيل، فبأى أسلوب أو لغة؟ وهل يمكن لهذه الجراثيم والميكروبات أو ذلك الوباء أن يجعل الناس - فى لحظات - كعصف مأكول؟

أم أن الوباء أقصاه أن يموت الناس على أثره، وأما جعلهم كعصف مأكول فهذا يحتاج إلى مدة طويلة. لقد أصبح جيش ابرهة وأفياله فى لحظات كعصف مأكول، فسبحان القوى القادر، والعظيم القاهر،

ثم لو كان الأمر كما زعموا فإن حادث الفيل وقد حدث فى العام الذى ولد فيه النبى ﷺ، ثم بعث فى الأربعين من عمره وفى الناس من هو ابن الخمسين أو الستين أو السبعين، يعنى رأى حادث الفيل يقينا، وكان يومها يعقل ذلك لبلوغه الحلم على الأقل، وقد نزلت سورة الفيل وهى تحكى وقائع تلك المعجزة الباهرة والحدث العظيم، فلو أنه لم يحدث أن طيرا نزل من السماء أو أنها تحمل حجارة من سجيل، أو ان أبرهة وجيشه وأفياله لم تصبح مطبوخة مطهية كعصف مأكول، لاستغلها

المشركون فرصة وانتهزوها فى تكذيب النبى محمد ﷺ وقرآنه ودعوته، ولقالوا: كنا يومها من الأحياء، ولم نر شيئا من ذلك، فهذا كذب ولكن هذا ما حدث، بل العكس هو الصحيح، وأقر كل من رأى الحادث بما جاء فى سورة الفيل، فالأمر إذا كان معجزة تحتاج إلى إيمان، ولا تتوقف على علم، والله ناصر المظلوم، مهما كان ضعفه، وقاهر الظالم ومنتقم منه مهما كانت قوته.

والله تعالى أعلى وأعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

«الخاتمة»

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد..

فهذا الجزء الثانى من كتابنا «آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين» حاولت أن آتى فيه على بقية الآيات التى فسرت على غير وجهها، أو فهمت على غير معناها، أو وضعت فى غير موضعها، أو استشهد بها فى غير حكمها، وقد تناولت الكتاب بترتيب السور فى المصحف حتى أتيت إلى قصار السور فتناولت منها نماذج متفرقات فى جزء صغير من آخر جزء عمّ،

وكنت قد ظننت أنى بذلك أتيت على ما قيل بفهم خاطىء حول الآيات، سيما وقد توسعت فيها، فاستغرقت كل هذه النماذج حتى تبين لى أن هناك كماً كبيرا من الآيات غير التى ذكرتها، وضعها رويبضات هذا العصر فى غير موضعها، وقد عقدت العزم على أن أقف عليها، ليكون منها الجزء الثالث من تلك الموسوعة بإذن الله تعالى، إن كان فى العمر بقية،

هذا وما كان من صواب فمن الله والحمد لله، وما كان من خطأ أو قصور أو نسيان، فمن نفسى وأستغفر الله، ولا تنسنا - أخى القارىء - من دعوة صالحة، يُؤَمِّنُ عليها الملَكَ، لى ولك بإذن الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عمر بن عبد العزيز

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٢٧٥/ ٢٠٠٠

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
☎٤٤١١٩١/ ٠٥٠